

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⵓⵎⵓⵍⵓⵔ ⵎⵓⵎⵎⵉⵔⵉ ⵔⵉⵣⵓⵓ

ⵔⵉⵣⵓⵓ ⵎⵓⵎⵎⵉⵔⵉ ⵔⵉⵣⵓⵓ ⵎⵓⵎⵎⵉⵔⵉ ⵔⵉⵣⵓⵓ

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI - OUZOU

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

Département de Langue et littérature Arabes



جامعة مولود معمري - تيزي - وزو

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

رقم الترتيب.....

الرقم التسلسلي.....

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي

الفرع: أدب عربي

التخصص: أدب واتصال

العنوان

خطاب عنف الآخر في روايتي "البيت الأندلسي" لواسيني الأعرج

و"فتاوى زمن الموت" لإبراهيم سعدي

إشراف:

أ.د. نورة بعيو

إعداد الطالبة:

- كبدي نادية

لجنة المناقشة:

أ.د. مصطفى درواش، أستاذ التعليم العالي، جامعة مولود معمري تيزي وزو.....رئيسا

أ.د. نورة بعيو، أستاذة التعليم العالي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.....مشرفا ومقررا

أ. بوعلام إقلولي، أستاذ مساعد "أ"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.....ممتحنا

الدفعة: جوان 2016

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر

أقدم شكري الجزيل إلى الأستاذة الدكتورة الفاضلة والطيبة "نورة بعيو"، التي لم تبخل علي بنصائحها وتوجيهاتها القيمة، فبعثت في روح العمل والمثابرة، ومواصلة مشواري الدراسي بجد وحماس في أحسن الظروف.

إهداء

إلى التي سهرت على تربيتي وتوجيهي، إلى أُمي الغالية التي ساندتني
طوال مشواري الدراسي، إلى أختي العزيزة، إلى زوجها وابنتها "مايسة"، وإلى
كل العائلة الكريمة وإلى كل الصديقات اللواتي شاركت معهن مشواري
الدراسي.

مقدمة

تناولنا في بحثنا هذا موضوع خطاب عنف الآخر، في كل من رواية البيت الأندلسي لـ **لواسيني الأعرج** وفتاوى زمن الموت لـ **إبراهيم سعدي**، وقد تعرفنا من خلالها السلوك العدواني الممارس على الفرد في حياته الاجتماعية.

تتجلى أهمية موضوعنا في محاولة الكشف عن مرجعيات ومستويات العنف، الذي يعتبر كظاهرة اجتماعية لها جذورها عبر التاريخ، وهو موضوع وإن تطرقت إليه بعض الدراسات، ولكن في مدونتنا هي قليلة جدا.

من الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع رغبتنا وميلنا لدراسة الإبداع الروائي الجزائري المعاصر، كونه موضوعا حساسا يرتبط بحياة الأفراد والمجتمعات.

أما عن إشكالية بحثنا، فقد توزعت على مجموعة من التساؤلات منها: ما المقصود بـ **خطاب العنف** و **عنف الخطاب**؟ ما هي أنواع الخطاب؟ ما هي مظاهر وسياقات ممارسة في الروايتين؟ لماذا تزداد ظاهرة العنف وتنتشر في مجتمعنا؟ هل هناك سبيل لنشر ثقافة **اللاعنف**؟

لتحليل هذه الإشكالية، والإجابة عن مختلف التساؤلات اعتمدنا بعض إجراءات النقد الثقافي وتحليل الخطاب والمنهج التأويلي، أما عن محتوى البحث فقد قسمناه إلى:

- مدخل الذي عنوانه بالعنف من المفهوم إلى الممارسة، حيث ركزنا فيه على مفهوم العنف وأنواعه، كما تطرقنا إلى ذكر مظاهر العنف في الرواية العربية/الجزائرية.

- أتبعنا المدخل بفصلين، جمعنا فيهما بين النظري والتطبيقي. في الفصل الأول المعنون بـ "من عنف الخطاب إلى خطاب العنف/الأشكال والتجليات في روايتي البيت الأندلسي وفتاوى زمن الموت". احتوى هذا الفصل على مبحثين تعرضنا في المبحث الأول للعنف المادي/الجسدي، الذبح، التعذيب وظاهرة القتل والاغتصاب والكسر والهدم. أما في المبحث الثاني، فقد تطرقنا إلى ذكر العنف المعنوي/الفكري اللفظي، وتجليات مظاهره

المتمثلة في: ظاهرة الشتم والسب على المستوى الفردي والجماعي، ثم تطرقنا إلى ظاهرة السخرية

في الفصل الثاني المعنون بـ "مستويات خطاب العنف وأبعاده في روايتي البيت الأندلسي وفتاوى زمن الموت"، فقد قسمناه إلى مبحثين، في المبحث الأول تناولنا فيه المستوى الرسمي، فذكرنا من خلاله ذلك العنف الصادر عن السلطة ومحاكم التفتيش المقدس، والأتراك والقطاع الإداري والعصابات الإرهابية، أما في المبحث الثاني فقد تطرقنا إلى المستوى الخاص/الفردي وذكرنا من خلاله العنف المؤسساتي والعنف الشخصي، وهذا المبحث انشطر إلى عناصر جزئية منها، المستوى الديني/الأصولي، ثم المستوى الاجتماعي، أما العنصر الأخير فلقد عنواناه من خطاب العنف إلى خطاب اللا عنف، الذي تطرقنا فيه بالحديث عن خطاب الاستعمار المقلوب/المعكوس. ولعل من أبرز المراجع التي عدنا إليها بشكل مكثف نجد:

- محمود سعيد الخولي: العنف في مواقف الحياة اليومية، نطاقات وتفاعلات
 - الشريف جبيلة الرواية والعنف، دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة
 - مازن مرسل محمد، حفريات في الجسد المقموع، مقارنة سوسيولوجية ثقافية.
 - عبد الرحمن أبو عوف، القمع في الخطاب الروائي العربي.
- من الصعوبات التي واجهتها في بحثي ضيق الوقت.

في الأخير أتقدم بالشكر الجزيل، إلى الأستاذة الدكتورة "نورة بعيو"، التي سهرت كثيرا على تقديم نصائحها وتوجيهاتها القيمة باستمرار في كل مراحل هذا البحث من بدايته إلى نهايته.

مدخل

العنف من المفهوم إلى الممارسة

1- مفهوم العنف

يعتبر مصطلح العنف، من المصطلحات المعقدة لاسيما في المجال السياسي والاجتماعي، فهو بنوعيه الفعلي والقولي يستخدم القوة أو يهدد باستخدامها، الإلحاق الضرر والأذى بالذات أو بالأشخاص الآخرين، وتخريب الممتلكات للتأثير على إرادة المستهدف انطلاقاً من هذا المفهوم يتحدد العنف بأنه الفعل الذي يمس كيان الإنسان ملحقا بالغير الضرر المادي/الجسدي والمعنوي النفسي والفكري، فالعنف كل فعل أو قول سلبي بذىء يمس كرامة الفرد وشرفه، وهذا يؤدي إلى شعوره بالانحطاط والدونية أمام الآخرين.

2- أنواع العنف

لأن العنف المتداول في الغالب الأعم في المجتمع الإنساني، يمارس بدرجة كبيرة على الجسد، وهو العنف المادي/الجسدي، وتجلّى «في العنف الاجتماعي، الذي يتمظهر في شكل أفعال متفردة أو جماعة منعزلة، تستهدف الأشخاص والجماعات والمؤسسات سواء كان الفعل ضرباً، أو سطواً أو اغتصاباً أو تكسيرا»⁽¹⁾ مثلما يمارسه بعض أفراد المجتمع غير الأسوياء على القاصر، أثناء سرقتهم لطفل مثلاً، يقومون باستئصال أعضائه، وبعد ذلك يقتلونه ويرمونه في أماكن منعزلة، بعيداً عن الأعين، ومن الأشكال الأخرى للعنف نجد «العنف الحكومي الذي يوجه النظام إلى المواطنين، ويمارس عليهم نظام العنف من خلال أجهزته القهرية، كالجيش والشرطة والمخابرات أو القوانين الاستثنائية»⁽²⁾، فهنا الفرد يخضع لتلك القوانين وتلتزم بها وإذا خرج عنها يتعرض لعقوبة صارمة.

هناك العنف الشعبي/العام الموجه من طرف المواطنين إلى النظام، نتيجة عدم كفاءة أدواته الاقتصادية والسياسي، وكذا غياب آليات التوزيع العادل للثروة والسلطة والقوة، فالشعب يلجأ إلى البحث عن التوازن، وانتهاج أسلوب العنف ضد الجهاز الحكومي في حالة إذا لم

¹ - الشريف حبيلة، الرواية والعنف، دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، أريد-الأردن، ط1، 2010، ص11.

² - المرجع نفسه، ص12.

توجد عدالة ومساواة بين الأفراد، وعدم تحقيق الحاجيات، كما يتجلى العنف المادي أيضا «في الإطار السياسي الذي يتمظهر في إرهاب الجريمة المنظمة، وإرهاب الدولة، وإرهاب المقدس، والإرهاب الثوري، وكلها تمارس العنف ماديا ونفسيا على الآخر الرفض أو المعارض أو المهمش، وتسلبه أعلى ما يملكه وهي الحرية، ومن هنا يتضح أن العنف هو عملية نشر الخوف والرعب في نفوس المواطنين، وكل من يقوم بهذا الفعل يسمى إرهابيا»⁽¹⁾، إذن، فالإرهاب يرتبط ارتباطا وثيقا بالقتل والذبح والدمار، وكل هذه السلوكات هي من تجليات العنف المادي.

3- مظاهر ممارسة العنف في الرواية العربية/الجزائرية

لعل من أبرز الكتاب الذين اشتغلوا على ظاهرة العنف في الرواية العربية والجزائرية بخاصة نجد "واسيني الأعرج"، و"جيلالي خلاص" و"رشيد ميموني"، و"الطاهر وطار" و"رشيد بوجدر"، و"بشير مفتي"، و"فضيلة فاروق"، و"ياسمينه صالح"، "ابراهيم سعدي" و"مرزاق بقطاش"، و"الطاهر بن جلول" وغيرهم، فلقد بينت هذه النصوص كيف أن ظاهرة العنف والقمع قد اتسعت إلى درجة خطيرة نفسيا وماديا، فلقد مورس العنف المادي، بأشنع صورة إلى درجة لا يتقبلها العقل، وتجلى ذلك «في قصة نعيمة» فتاة الملهى في رواية ناصر التومي"، بحيث أوقع بها الوالي، واغتصبها في بيته»⁽²⁾، وبالتالي أصبحت مجرد أداة اشباع جنسي واستغلال مادي.

قد اختلفت وتنوع العنف المادي الممارس على الجسد سواء كان هذا العنف جنسيا أو انتحارا، أو ذبحا أو حرقا... الخ ولأن العنف المادي يقع غالبا على الجسد، وهذا الأخير يرتبط حسب "فوكو" «بعدة وظائف، باعتباره قطب الرحي، إذ أنه يحمل دلالة وكيفية العيش، وأسلوب الحياة، وفق جهتين: الأولى ترتبط بوظائفه الأساسية باعتباره آلة، أو محركا أو

¹ - الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص12.

² - منية قارة ببيان، رواية القمع في تونس، دار نقوش عربية، تونس، ط1، 2013، ص106.

حركة، ومن الجهة الثانية باعتباره، يمثل الوظائف العضوية الخاصة بالإنسان»⁽¹⁾ كما يستعمل الجسد كأداة لوظائف أخرى «كالدعارة، أو سائر الاستغلال الجنسي أو الاستبعاد وهذا باستغلال ضعف هؤلاء الأشخاص، والمتاجرة بأجسادهم بطرق غير قانونية، وخاصة أجساد النساء لاستخدامها لغرض جنسي، مقابل مبالغ مالية هائلة، وقد يستعمل هذا الجسد أيضا لأغراض أخرى، منها السرقة، وتنفيذ عمليات إجرامية ويمارس أيضا العنف المادي على الطفل، وقد يكون ظلما من طرف المجتمع، مما يصاب بعاهات تشوه جسده طوال حياته»⁽²⁾ فتحرمه لذة العيش، فيصبح منبوذا ومحقورا من طرف المجتمع أو الآخر.

من مظاهر العنف الجسدي الممارس على السجين في السجن، يتمثل في التحرش الجنسي وقلة الفرش في الغرفة، وتخريب ذاكرته من كثرة التعذيب، وبالتالي قتل حرية الإبداع لديه، والإصابة بالجنون وغيرها من المظاهر الأخرى.

يعد السجن إذن من أعلى درجات القمع لارتباطه، بالتعذيب في فترة، بحيث يسلط على هذا الجسد الذي يتضمن في دواخله مجموعة من الاعضاء، والحواس والانفعالات والعواطف والسلوكات أعنف تعذيب، فيؤدي إلى إصابته بتشوهات جسدية واضطرابات نفسية عنيفة «ويذكر الراوي كمال بركاني في رواية "امرأة بلا ملامح": قامت السلطة بإدخال خراطيم الماء في فمي، ويخرج الماء من جهة الأخرى فيحدث ألما، كما يرقصون على بطني، إنه أسلوب قهري يؤدي إلى تحطيم الجسد والنفس»⁽³⁾ فالجسد هنا أشبه بلعبة، وقعت في أيدي تفعل بها ما تشاء وما تريد فتسيرها بحسب رغباتها وذوقها.

¹ - مازن مرسل محمد، حقايات في الجسد المقموع، مقارنة سوسولوجية ثقافية، منشورات الضفاف، ط1، 2015، ص36.

² - المرجع نفسه، ص ص 141، 29.

³ - الشريف حبيبة، الرواية والعنف، ص192.

من الروايات الأخرى التي تحمل مظاهر العنف المادي، نجد رواية "دم الغزال" لـ"مرزاق بقطاش"، والتي تمحورت أحداثها في اغتيال رئيس الدولة، "محمد بوضياف" إثر إصابته برصاصة في رأسه.

لقد عاشت الجزائر مرحلة العنف لاسيما «في وبعد 5 أكتوبر 1988، ولكن السنوات الأعنف، التي شهدتها تاريخ الجزائر المعاصر هي: 1992-2000 والتي تعرف بالعشرية السوداء»⁽¹⁾، فلقد شهدت هذه الفترة أبشع الجرائم التي ارتكبتها الحكومة على المواطنين المهمشين والأبرياء، والذين سلبت حقوقهم غصبا عنهم.

هناك مجموعة من الاغتيالات الممارسة من طرف العصابات الإرهابية، نجد رواية "تيميمون" لـ"رشيد بوجدر"، بحيث نقلت هوية هؤلاء الأشخاص، الذين اقتحموا البيت ليقتلوا أصحابها، وهم عصابة إرهابية، مدمنين على تدخين الحشيش، ويقول الراوي في هذا المقطع «اغتيال الأستاذ بن سعيد، ولقد قتل ذبحا من طرف عصابة إرهابية مكونة من شبان متعصبين، ومدمنين على تدخين الحشيش، اغتيل المسكين أمام ابنته البكر وذبحوه أمام ذويه، ويستأصلون الأعضاء عضوا عضوا، ويسلخون الجثث ويسفكون الدماء الزكية، باسم الدين البريء لا لشيء سوى الحصول على السلطة السياسية»⁽²⁾.

فالشبان الذين أقدموا على ممارسة هذا الفعل الشنيع سببه الكبت النفسي ولا يفهمون الدين، وبالتالي خرجوا عن طاعة الله وانحرفهم إلى ممارسة القتل الذي يبغضه الله تعالى.

هنا، من القرى التي عانت العنف في أبشع صوره، وتجلي ذلك في «رواية "الشمس في علبة" لـ"سعيد هواره"، بحيث تقتحم أكواخ تلك القرية وبيوتها الطينية، ويقتل الأم الحانية ويقتل أبنائها، كما توضح الكاتبة ما يعانيه المكان من عزلة، فكانت تلك القرية ساحة للقتل والدمار، كما يستيقظ الناس على مشهد رهيب، خمس رؤوس، وضعت على قارعة الطريق

¹ - الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص ص 31-32.

² - المرجع نفسه، ص 98.

لقد حاولوا اغتصابهن، ولما قاومن، قطعوا رؤوسهن عقابا لهن لأنهن رفضن ارتداء الزي الأسود⁽¹⁾، فهنا تصوير لمدى بشاعة المشهد، بحيث تنوعت مظاهر العنف من القتل والاغتصاب والذبح.

عربيا يمكن التمثيل بالعنف المادي من خلال مظاهر الاعتقال والحبس والسجن «منها روايات، عبد الرحمن منيف، وحيدر حيدر وهلسا غسان كنفاني، وصنع الله إبراهيم، وجمال الغيطاني، وفوزية رشيد بكر خليفة، حنامينا، ومحمد زفزاف، وهذه الأسماء تطرقت إلى تناول ظاهرة مرعبة بسبب القمع والقهر، وتتجلى في المطاردة والاعتقال والتعذيب، كما أنها تصور الواقع المر الذي يعيشه الوطن العربي»⁽²⁾ لذلك يظل السجين مقموعا ومقيدا، ودائما يعاني من التبعية والاستلاب الثقافي من طرف الآخر.

يرى "عبد الرحمن منيف" في رواية الشرق المتوسط، أن تجليات القمع تتمثل «في السجن، ومن هنا نتناول ما يعانيه السجين، وراء القضبان، وهو تائه في القسوة والمعاناة وعزل المعتقل المربوط بالسلسلة الطويلة، وسلب حريته من طرف الحاكم»⁽³⁾.

نقول إن كثرة أو تفاقم وتراكم هذا العنف الممارس على السجين يؤدي به إلى إصابته بالانهيار العصبي، وبالتالي يصبح مجنونا.

كما "مورس" العنف بأبشع صوره، مجردا من كل آدمية بشكل رهيب وتجلى ذلك «في نص الزنزانة رقم 10 لـ "أحمد المرزوقي" وهو أحد العسكريين المعتقلين الناجين من معتقل "ترممارت" ونقف على سيرة هذا السجين الذي تجلت فيه القسوة البشرية في أقصى مداها بحيث تمثل كترتيب متتالي في لحظات الرعب، والمعاناة الخارقة»⁽⁴⁾، بسبب وقوع هذا الجسد كضحية للجوع والبرد والإختناق، وانهيار الأعضاء الجسدية.

¹ - الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص ص53-54.

² - عبد الرحمن أبو عوف، القمع في الخطاب الروائي العربي، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 1999، ص6.

³ - المرجع نفسه، ص15.

⁴ - شرف الدين مجدولين، الفتنة والآخر، أنساق غيرية في السرد العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص14.

أحيانا نعذب أنفسنا بطرائق بشعة وعنيفة جدا، وتمثل ذلك في قول السارد بأن أسناننا من المفروض أن تتساقط وحدها بعد سلسلة من الالتهابات الحادة التي تتعرض إليها في السجن، ولكن نحن نقدم على فعل جنوني قاس، بحيث نقوم بخلع تلك الأسنان بأيدينا، وما يصاحبها من الوجع الرهيب، أو ربطها بخيط رقيق، أما الطرف الآخر أو الجهة الأخرى من الخيط نربطه بالباب، ثم نقتلع تلك الأسنان بجرة عنيفة وسريعة⁽¹⁾، وعليه، فلقد تعددت مظاهر العنف الجسدي المادي سواء في الرواية الجزائرية أو العربية من اغتصاب وذبح وتعذيب.

¹ - ينظر: شرف الدين مجبولين، الفتنة والآخر، أنساق غريبة في السرد العربي، ص 165.

الفصل الأول:

من عنف الخطاب إلى خطاب العنف / الأشكال والتجليات

في الروايتين

المبحث الأول : العنف المادي / الجسدي

المبحث الثاني : العنف المعنوي / الفكري / اللفظي

المبحث الأول: العنف المادي / الجسدي

إنَّ المقصود بعنف الخطاب، خطاب عنيف موجود أصلاً فيه، وهو الخطاب الذي ينتج عنفاً.

أما خطاب العنف نقصد به، ذلك الخطاب الذي نمارسه تلقائياً أو عفوياً، نتطرق في فصلنا هذا، إلى ذكر أنواع الخطاب الممارسة على الإنسان ويتجلى في شكله المادي والمعنوي.

1- مظاهر العنف المادي/الجسدي، في نص البيت الأندلسي وفتاوى زمن الموت :

المقصود بالعنف المادي/ الجسدي هو ذلك العنف الممارس على جسد الإنسان، لما يتعرض له من اعتداءات، من قبل الآخر سواء كان ظملاً، أو بسبب الذنب الذي اقترفه، أو إفشاء لأمر من أمور الجماعة بقصد أو بدون قصد، أو الخروج عن قوانينها، قد يؤدي بصاحبها إلى الموت، وسفك الدماء، مثلما تفعل الجماعات الإرهابية، وظاهرة التطرف الديني وانعكاساته السلبية على الأفراد، فكل من خالفها يتعرض للعنف الجسدي بأبشع صوره المختلفة.

أ- الذبح/نهاية الحياة وتعد على حرمة الجسد:

لقد مورس العنف الجسدي/المادي إبان الحرب على كل من تعامل مع الاستعمار والحركة والخونة، وهذا ما نجده في البيت الأندلسي لـ "واسيني الأعرج" « لدى "الفينكا" زوج مدام لوبيز وسمي بهذا الاسم لبروز عظام الفكين، بحيث يقوم بذبح هؤلاء الخونة في الثورة بلا رحمة، وكيف يتلذذ بلمس الأعناق الناعمة والخشنة، في المرات الأولى كانت حالات الخوف تنتابه كلما وقف وجهاً لوجه أمام الشخص، الذي ينتظر دوره ككبش العيد بعد أن يحفر قبورهم، ومع الزمن كان يجد لذة كبيرة حز الأعناق، بل كثيراً ما يصاب بالهستيريا عندما يؤتى له بمجموعة أعناقها مهيئة للذبح السهل، بعد أن تقص لحاها وشعرها، كان المتهمون بعد أن يصدر عليهم حكم الإعدام، يطلب منهم أن يحفروا قبورهم

يسألهم "الفينكا" عن إرادتهم الأخيرة، عن طلباتهم الحميمية، وعن رسائل لا تصل أبدا يريدون تبليغها إلى ذويهم، وبمجرد أن يذبح الفينكا الأول، يتملكه الارتجاف، فيطلب المزيد من الأعناق، ثم المزيد بينه وبين الدم حالة من التماهي، وعندما ينتهي من عملية الذبح، يصاب بإغماء تستمر قليلا قبل أن يصب على وجهه دلو من الماء»⁽¹⁾ لو كننا مكان "الفينكا" نموت ولا نفعل ما فعله، ولكن هو جرى وشجاع في ممارسة عمليات الذبح، والغريب أنه كلما سئل عن شعوره العميق عما فعله، يضحك، ويقول أنني لم أفعل شيئا، سوى القيام بواجبي الوطني ولا يشعر بالذنب والندم، وكأنه مجرد من العواطف والأحاسيس فهو وحش.

بالرغم أن "الفينكا" يجد لذة كبيرة في ذبح الأعناق، إلا أن مرة واحدة أثاره المشهد «عندما ذبح شابا لا يعرف أن يشهد باللغة العربية، فشهد باللغة الفرنسية وتجلّى ذلك في رواية البيت الأندلسي أيضا، حينما حاكم المسؤول الكبير ذلك الشاب بحجة أنه، على علاقة مع امرأة، فذهب مقيدا إلى "الفينكا" مع مجموعة التي ينتظرها نفس المصير، فسأله "الفينكا" ماذا يشتهي قبل الموت»⁽²⁾، هذا الملفوظ يوضح لنا قساوة قلب "الفينكا" المملوء بالحق والضعيفة، فهذه الحالة نفسرها أنها حالة نفسية مرضية خطيرة جدا.

هناك روايات من تاريخ الرواية الجزائرية، التي تناولت أحداثا مأساوية، متمثلة في ظاهرة "الذبح" أيضا، للروائي نفسه واسيني الأعرج في رواية "ذاكرة الماء" «بحيث يذكر السارد، أن يوم الثلاثاء هو اليوم الذي يخرج فيه القنلة عادة بسكاكينهم لذبح المتقنين، فقد كتبوا على جدران مدينة الجزائر العاصمة عبارات كثيرة، تحرض على القتل، واستعمال العنف، ومن بين العبارات الدموية، التي علقت على جدران المقاهي وفي الساحات العامة عبارة "الشيوعيون، ستذبحون حتى ولو تشبثتم بأستار الكعبة، قل إن الإرهاب من أمر

¹ - واسيني الأعرج، البيت الأندلسي، رواية، دار الجمل، بيروت، ط1، 2010، ص367.

² - المصدر نفسه، ص368.

ربي»⁽¹⁾. وهذا يوضح لنا قساوة تلك الأحداث، وبالتالي تبقى الذاكرة مكنون لتلك الجرائم المرعبة والمؤلمة، التي حجت، أو أخفت حقيقة المضطهد أو المتعسف، الذي دس على القانون، وخرج عن قواعده وبالتالي ذلك يشكل خطورة بحيث يهدد أمن وسلامة المجتمع كما تقدم الجماعات الإرهابية والمهيمنة على تسليط وحشيتها، وخاصة المسلمون المنتسبون إلى الجماعات الإرهابية، يحملون أسلحة وقنابل وسيوف وسواطير وسكاكين حيث يذبحون ويقطعون رأس كل من خرج على قوانينها الجائرة، ويتركون رسالة على الأرض مكتوبة بدم الضحية، كما يذبحون الطالبات في المدارس بعد اغتصابهن، ويحرقون المحلات التجارية ويغتالون الأطفال أمام ذويهم، ويقطعون أيديهم وأرجلهم، وهذا ما تجلى في رواية "فتاوى زمن الموت" حيث قال موح: «لم يحدث أن زارني "موسى"، ولا أعطيته عنواني، ولكن لم أكن مطمئنا مع ذلك، فقد فكرت أن شقيق زوجته المدعو "صالح صويلح" ربما فتنش أوراقى أثناء الأيام التي قضيتها معه، ومع أخته في الحي، لقد شغلني أن الأمر إلى حد أنني أوشكت مرات عديدة أن أبلغ به، وكانت رغبتى في ذلك تشتد باشتداد بشاعة الأعمال المرتكبة وأعني بذلك مشاهد الأجسام الممزقة، والجثث المتفحمة، والرقاب المذبوحة والمرتبقة، والجنازات اليومية، لكن في الأخير لم أبادر بالتبليغ "بصالح صويلح" ولم أدر لم ذلك»⁽²⁾، إذن فممارسة العنف الجسدي هنا، تظهر بطريقة بشعة توحى بالاشمئزاز، بسبب تلك الجرائم الفادحة، التي خلفتها الجماعات الإرهابية، التي لا تملك أدنى رحمة وشفقة.

ب- التعذيب/ تجسيد لقمع الجسد

هو المظهر الآخر للعنف المادي/ الجسدي ومن مميزاته أو خصوصياته ذلك العنف المادي الممارس على السجين بحيث يصور في أبشع صوره ويتجلى ذلك في رواية البيت الأندلسي "لواسيني الأعرج" بحيث سرد "غاليليو" تلك المشاهد المقرفة والمرعبة، قال في هذا

¹ - أحمد حسن، ذاكرة الماء (محنة الجنون العاري) لواسيني الأعرج، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري،

جامعة بسكرة، الجزائر، ص258، في 23 أبريل 2016، على الموقع: www.elktob.com

² - ابراهيم سعدي، فتاوى زمن الموت، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، ط1، 1999، ص123.

الصدد: «كنت مقيدا بالسلاسل، وبدأنا ننزل نحو الدرج برفقة الكهنة، وكأنا ننزل نحو أعماق جهنم، وكل ما توغلنا، زادت الروائح الكريهة الممزوجة برائحة العفونة والرطوبة، قوة وانتشارا لم أتحمّل، شعرت بأمعائي تتدلق دفعة واحدة، تقيأت، دخلوا بي، نحو غرف التعذيب وتمزيق الأجسام البشرية التي امتدت على مسافات كبيرة تحت الأرض،، رأيت غرفا صغيرة في حجم جسم الإنسان، فيبقى الإنسان سجين هذه الغرف العمودية، واقفا على رجليه مدة سجنه حتى لا يموت بلا أكل ولا شرب، وتتفسخ الجثث في السجن، ويتساقط اللحم على العظم، وتأكله الديدان»⁽¹⁾، وهذا النوع من العنف بمجرد سماعه، يقشعر البدن، ويجعلنا نفقد الشهية في الأكل والشرب بسبب هؤلاء المتوحشون، الذين لا يملكون أدنى رحمة في قلوبهم ولا يخافون الله، ولم يخطئ عندما أكد «محمد نجيب» أن المصدر الأساسي للعنف في تاريخ البشرية، كان محاولة التسلط، سواء تسلط طبقة على مجتمع واحد، أو تسلط فرد على آخر، وهذا التسلط يفرض قوة على قوة أخرى، أي على الفئة المهمشة»⁽²⁾، إذن فصاحب السلطة والمكانة، نجده يمارس العنف بحرية مطلقة، ولا يوجد من يحاسبه على ذلك.

من الصور الأخرى التي نقلت معاناة "غاليليو الروخو" وهو في السجن، هذا المشهد اللا إنساني : «كانت لحظتي الأولى في التحمل، لم أصرخ، ثم قيدوا رجلي بنفس الطريقة حتى أشعروني بأن قدمي ستفصلان عن رجلي، وكانت البرودة تلسع الجسد العاري كليا كانوا يشعرون بمتعة غريبة وهم يكتشفون بعد تعريتي بأن عضوي، الذي ضمّر نهائيا، كان مطهرا، كما رموا عليّ الماء البارد لأنهم شعروا أنني كنت قد بدأت أغيب عن الوعي، وبعد ذلك نقلوني إلى غرف أخرى مضاءة بشكل أفضل،، كانوا يبدؤون بسحق عظام الأرجل، ثم عظام الصدر والرأس واليدين تدريجيا، حتى يهشم الجسم كليا، ولا يبقى به شيء يحكمه

¹ - واسيني الأعرج، البيت الأندلسي، ص ص68-69.

² - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، دار مكتبة الاسراء، بيروت، ط1، 2006، ص19.

وتخرج من الجانب الآخر كتلة من العظام المسحوقة، والدماء الممزوجة باللحم المفروم»⁽¹⁾، إن سماع هذه العبارة الأخيرة، تجعلنا نشعر بالغثيان، وتدفعنا إلى عدم الرغبة في تناول اللحم المفروم، أي أننا كلما تناولناه، نشعر وكأننا نأكل لحم بني آدم، وبالتالي تفقدنا الشهية، وننفر كلما رأيت اللحم كما يواصل "غاليليو" في تصوير تلك المشاهد العنيفة في المنفى: «الكثير من السجناء، أو منهم من كان في الرمق الأخير من الحياة، بعضهم يصرخ بأعلى صوته، بعد أن أصابه الجنون من كثرة التعذيب الكل كانوا عرايا، وأجسادهم سوداء من كثرة الدم الذي نشف عليها، أو ربما بفعل الظلمة تمنيت أن أضع عليهم شيئا، ونسيت أنني أنا أيضا كنت في نفس وضعيتهم ولا أعلم، إن كان بعضهم ما يزال على قيد الحياة، إذ كانت رؤوسهم منكسرة مهزومة»⁽²⁾، فالسجين إذن أشبه بالعصفور الموضوع داخل القفص، والمحروم من الحرية وأشد التعذيب الجسدي التي طبقتها محاكم التفتيش في سجونها على السجين، تجلت في رواية البيت الأندلسي، هذه الأعمال السيئة والبشعة، بحيث تجعل المتلقي يحس بالرعب، جراء قساوة التعذيب المسلط على المعذب «يضعون رأس الإنسان داخل الصندوق الخشبي من أجل تعذيبه، بعد أن يربطوا يديه ورجليه بالسلاسل والأغلال، حتى يمنع من الحركة كليا، وفي أعلى الصندوق ثقب تتقاطر منه قطرات الماء البارد على رأس المعذب، بانتظام في كل رمشة عين، يبقى المعذب على حالة تلك حتى الموت، كما أن هناك تابوت ثبتت فيه سكاكين حادة، ورؤوس معدنية مدبية، يلقون بالجاني في هذا التابوت، ثم يطبقون بابيه بسكاكينه وخناجره، فإذا اغلق مزق جسم المعذب، فينتهي الشخص داخل بركة من الدم، وجسد لا يمكن لملمة أشلائه بسهولة»⁽³⁾، إذن لقد تنوعت تلك الآلات المستخدمة لتعذيب الجسد الإنساني والمصحوبة بآلام حادة، وهناك التي تشبه أيضا الكلايب، بحيث تمظهرت خطورتها في الرواية «تغرز في لسان المعذب، ثم تشد وتسحب،

¹ - واسيني الأعرج، البيت الأندلسي، ص ص 69-71.

² - المصدر نفسه، ص 69.

³ - نفسه، ص 70.

ليخرج اللسان معها، أو ينزع جزء منه فقط، بحسب درجة التجريم، وكلايب أخرى، كانت تغرس في أذناء النساء وتسحب بعنف، حتى تنقطع الأذناء أو تبتثر بالسكاكين، الكماشة، الآلة التي توضع في الفم ويتم توسيعها شيئاً فشيئاً، حتى فصل الفكين وتمزيق العضلات، وسوطاً مصنوعة من الحديد الرقيق والناعم مثل الشعيرات، يضرب بها أعداء الدين، وهم عراة فتنناثر لحومهم وتفتت عظامهم»⁽¹⁾، هنا انعدمت الإنسانية، وطغى التعصب والوحشية، في مجتمع فاقد للضمير والاحساس، والرحمة فيمارس تلك الأعمال الشريرة، وكأنه لم يفعل شيئاً، أي بشكل عادي فلقد أكد "عبد الرحمن منيف" في رواية "شرق المتوسط" في هذا الصدد أن أعلى درجات القمع «تتجلى في السجن بالدرجة الأولى بحيث تنقل ما يعانيه السجين وهو وراء القضبان تائه»⁽²⁾.

فالسجن إذن مكان للمعاناة والآلام، والذي ذاق مرارته وحده فقط يعلم حقيقته ومن الأعمال البشعة التي مارسها محاكم التفتيش أيضاً في السجون، تظهر في هذه المقتطفات الواردة في البيت الأندلسي «حيث قام "الكردينال" بأبشع الجرائم في "غرناطة" ضد المسلمين واليهود، كما وجدت محاكم التفتيش المقدس في هذه الفئة المستضعفة، أخصب ميدان لنشاطها وأقامت لهم المحارق الجماعية، وملأت سجونها المظلمة والعفنة، وتفتنت في أساليب تعذيبهم وإرهاقهم جسدياً ومعنوياً، وترك الجسم عاري والكي بالنار، وحرق الأقدام بالفحم المشتعل، والتجويع التدريجي، التعذيب بالأسياخ الملتهبة، وحرق البطن فسخ الفك ويفتشون حميميات الصبي، أو الرجل، فإن وجدوه مختلاً علموا أنه مسلم، أو يهودي، بطشوا بأهله، وزوجته بالفتك والحرق»⁽³⁾، وهذا يوحي إلى مدى صرامة وفضاعة ووحشية هذه الأساليب المطبقة على الفئة المستضعفة والمغلوب عليها، والتي هضمت حقوقها، ولا تستطيع الدفاع على نفسها، ولا حتى على شرفها.

¹ - البيت الأندلسي، ص 71.

² - عبد الرحمن أبوعوف، القمع في الخطاب الروائي العربي، ص 15.

³ - البيت الأندلسي، ص ص 79-80.

قد يؤدي النزاع أو الصراع بين شخصين أيضا، إلى الإصابة بأضرار جسدية خطيرة بفعل هذه الاعتداءات الجسدية المتنوعة، والممارسة عليه بوحشية، ويعنف شديد، وللحديث عن العراك نستعرض رواية فتاوى زمن الموت لـ"إبراهيم سعي" بحيث قال موح: «لا زلت أتذكر ذلك النزاع بعنفه ووحشيته، إلى حد أنني لازلت أسمع لهات كل من عنتر وقدر وأرى عرقهما، وهو يمتزج بالدم وقوامهما وهي تخور شيئا فشيئا، فهذا العراك لقد دام ساعتين، أو على الأقل لم يتوقف إلا بعد ما قررنا التدخل للفصل بينهما، أي بعدما صارا لا يكادان يقويان على الانتصاب على قدميهما، وعلى تبادل المزيد من اللكم، لقد كان الاثنان حينذاك على وشك السقوط أرضا»⁽¹⁾، ما أبشع صورة وسلوك الإنسان في حالة غضبه، فيتحول إلى حيوان مفترس وشرس، وبالتالي يقدم على القيام بأفعال مشينة ومقرفة وخطيرة تجعلنا نتهرب منها، وتبعث فينا الخوف والرعب لرؤيتها، كما أن تدخل الإنسان في بعض الأحيان لفك النزاع بين شخصين، يؤدي به إلى إصابته بالسوء والأذى، وتجلي ذلك أيضا في رواية "فتاوى زمن الموت" عندما حاول "عنتر" بتسوية الخلاف الذي جرى بين "مسعود"، و"الملاك مبروك" وسنحاول أن نعرض تلك المشاهد من الرواية: «بدأ العراك بين الشاعر (عنتر) والملاك، في أول الأمر لاكم مبروك، باليد اليسرى فقط، تواضعا ويمناه خلف ظهره كما وعد، لكنه ما إن تلقى باليد اليسرى ضربتين من الشاعر حتى أصبح يستعمل الاثنتين، وبدأت الكلمات تتهاطل حينذاك على الشاعر، وظل "مبروك" يلاكم كما لو أنه في الحلبة»⁽²⁾، وهكذا من شدة غضب وثوران الإنسان قد يؤدي إلى القتل أحد، دون وعي منه لعواقب ذلك، وليس بتوظيفها أو تعلمها للاعتداء على الآخر، وبالتالي تصبح نقمة في هذه الحالة، وليست نعمة، وهذا ما أكدته "توماس بلات" «العنف في المواقف الحياة اليومية، نطاقات وتفاعلات، بأن القوة الجسدية، تستخدم للإيذاء أو للأضرار، أو للاستخدام

¹ - فتاوى زمن الموت، ص ص 15-16.

² - المصدر نفسه، ص 57.

الغير العادل للقوة من أجل قمع الآخر⁽¹⁾. فالإنسان العاقل هنا، يصرف قوته الجسدية، فيما هو إيجابي يعود بالمصلحة على المجتمع.

هناك المظهر الثالث للعنف الجسدي/ المادي ويتجلى في:

ج- ظاهرة القتل

في بعض الأحيان يكون لدينا فضولا لمعرفة ماذا جرى في مكان الجريمة، من أحداث مرعبة، مما يؤدي إلى الإصابة بصدمة قوية لعدم قدرتنا على تحمل ذلك المشهد الذي يتمثل في الدم، والعنف الممارس على الجسد في رواية "واسيني الأعرج" يظهر جليا عندما تجرأ "مراد باسطا" بدخوله إلى البيت الأندلسي «بحيث فتش في الحمام ووجد الفينكا» ميتا ومرميا في الحمام، بينما الشابة الجميلة على جسدها بياض الصابون، عندما أقدمت على الهرب جراء العنف، أصيبت برصاصة في ثديها وشوّهته، فلقد أحزنني وضعها وكأنها نائمة، كل شيء تم بكاتم الصوت، لم أفعل شيئا سوى أنني كلمت رجال الأمن، وأخبرتهم بما حدث، في كل مشهد الدم والموت العنيف الذي رأيته يومها، وجسدها الناعم الذي كدت أن ألمسه من شدة شفقتي عليه، فاكتفيت أن غطيته بما وجدته أمامي أحزنني موتها المبكر⁽²⁾، وهكذا إذن فارتقت هذه الشابة الحياة في ظروف غامضة، دون أن يعلم بها أحد فما أبشع هذا المشهد المملوء بالدم.

كما تمحور العنف الجسدي أيضا في الرواية نفسها «عندما أطلق الرصاص أصحاب سيارة الغولف على الصحافي "يوسف النمّس" ولكن أصابت شابا الذي لا دخل له بالمسألة بتاتا، ويتجلى في هذا المقطع: عندما رفع الشاب الجريح رأسه، كان كل شيء مغلقا، وأسود زاد تألمه، حاول "يوسف" أن يسعفه، كان يشخر بين يديه ويرتد، كلماته تخرج من صدره في شكل حشرجات متقطعة: يا خو... يرحم والديك... أنا خاطيني... خذني للمستشفى، ما

¹ - ينظر: محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص 35.

² - البيت الأندلسي، ص 381.

نحبش نموت، فلقد حاول "النمس أن يضغط على الجرح الذي اخترق صدر الشاب المسكين»⁽¹⁾، وهذا يكشف عن الحالة المزرية التي آل إليها الشاب البريء، الذي كان له نصيب سيء عندما أصيب بالرصاص خطأ بالصدفة.

إذن استطاعت الرواية الجزائرية المعاصرة نقل هذه الصورة عن الشارع الجزائري، وهي تسجيل لتفاصيل المأساة، وللحديث عن الجرائم التي تحدث في الشوارع فلقد قام "كامبل" بدراسة نفسية حول ظاهرة العنف في الشوارع، فوجد أن هذا المكان يسيطر عليه ذكورا يقضون جل وقتهم في الشارع، وبالتالي يقومون بسلوكات سيئة كالشجار والركل، يقلل من احترام الطرف الآخر، وتنتهي هذه الصور العنيفة غالبا بالقتل⁽²⁾، فالشارع إذن فضاء للانحراف وفساد شخصية الفرد، وإحالتها إلى ما هو أسوأ.

قد يتعرض الصحفيون إلى هجومات عنيفة وقوية، أو سلسلة من الاتهامات التي تمس بالكرامة من قبل الجماعات الإرهابية، ولأنها ترى الصحفي دائما يفشي بالجرائم التي يرتكبونها في المجتمع سواء في الصحف أو المجلات، وفي كل القنوات التلفزيونية، وفضح هذه الأعمال الشريرة من طرف الصحافة، وهو ما يجعل الإرهاب يقومون أو يدبرون مكيدة ضدهم وتجلي ذلك في رواية البيت الأندلسي، عندما اتهم الصحفي "يوسف النميس" أن موت "الكاهنة" هو السبب في ذلك، بحيث لاحظوا أن موت خطيبته كاهنة «لم يكن ذلك مجرد صدفة أبدا أو خطأ، أو انتحارا في حالة ارتباك نفسي، كما قالوا في الصحف الرسمية وصحيفة حزب الجبهة، وعندما أخذوا "يوسف النميس" نحو مخفر الشرطة، بهدلوه، جرجروه في أروقة المحاكم، واتهموه بأنه كان وراء انتحار "الكاهنة" لأنها كانت حاملا منه، ورفض أن يعترف بالجنين أو يتزوج بها، القاضية كانت امرأة درست الملف بعمق، وكأنها محامية "كاهنة" قالت له: شوف سأبحث في ملفك، إذا ثبت أنك كنت وراء العملة، والله سأدفعك

¹ البيت الأندلسي، ص242.

² ينظر: محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص24.

الثنى مزدوجاً، الاغتصاب، وجريمة القتل، ولكن كانت النهاية، بعد تأكدها السريع من براءته دافعت عنه باستماتة»⁽¹⁾.

كون "يوسف النمى" صحفي مشهور، بحيث ينبش ويتبع كل خطوة يقوم بها الأشرار لكي يفضح أعمالهم الخبيثة الإنسانية، وهذا يجعله لقمة مستصاغة بين أنياب هؤلاء الضباع التي لا ترحم، وخاصة عندما كتب "النمى" عن حركة الميناء، وقصة حاويات السجائر المهربة، بحيث قال له رئيس التحرير: «بهذلتني يا "يوسف" خدعتني، أمضيت عمري أدافع عنك، لماذا كتبت عن قصة التهريب والمخدرات، لأن الناس الكبار هم الذين يسيرون تلك الأعمال، وهم الذين يمولون جريدتنا»⁽²⁾ وهذا ما يوضح أن الجريدة بمثابة بوح عن المسكوت عنه أو بمثابة فضح للجرائم الخطيرة.

قد تعرض وسائل الإعلام صوراً عن الجرائم المقتتفة من واقعنا اليومي: «ولهذا أكدت "آمال كمال" أن العنف الإعلامي يشمل أي تهديد يؤدي إلى استخدام القوة الجسدية أو الإستخدام الفعلي لهذه القوة، بهدف إحداث أذى بدني لشخص أو مجموعة من الأشخاص كما عرف "لونيوفيلشس" في كتابه "التلفزيون في الحياة اليومية" أن العنف هو فعل من شأنه إحداث إصابات، أو جروح أو يفضي إلى موت شخص آخر، إذن فالعنف الجسدي يتجلى في: الضرب على الرأس والوجه، اليمين، شد الشعر، شد الأذنين، الرفس بالأرجل والحرمان من الأكل، والحرمان من قضاء الحاجة، أو التحرش الجنسي، كما يتجلى العنف الجسدي أيضاً في تشغيل الأطفال بأعمال شاقة التي تفوق قدراتهم الجسدية»⁽³⁾، فالعنف في هذه الحالة هو كل فعل أو سلوك عدواني، يهدف بإلحاق الضرر الجسماني كالصفع على الوجه أو الركل بالقدم.

الرابع للعنف الجسدي/ المادي يتمثل في:

¹ - البيت الأندلسي، ص ص 135-136.

² - المصدر نفسه، ص ص 237-238.

³ - نفسه، ص ص 39، 57.

د/ سلوك الاغتصاب/ التعدي الجنسي على الجسد الأنثوي والحيواني:

يتمظهر العنف الجسدي كذلك في المساس بحرمة وشرف الإنسان كأن يعتدى على الجسد اغتصاباً، وهو سلب لعذرية الفتاة العازبة، وتصبح محل سخرية وعالة في مجتمع لا يرحم، حتى وإن اغتصبت إجباراً، وبغير إرادتها، فتشعر بالإهانة وهذا يؤدي إلى رغبتها في قتل نفسها لكي تتخلص من العار الذي تلحقه بعائلتها، وتجلّى ذلك في الرواية الواسينية حيث قال **غاليليو الروخو**، إثر اغتصاب أخته: "كنت أدافع عن أختي التي اختطفها أحد العساكر، وساقها إلى القلعة ليغتصبها ويرميها بالقرب من الحي اليهودي عارية"⁽¹⁾. إذن مثل هذه التصرفات الخطيرة، تلحق بالآخر الإهانة، وهذا ما أكدته **محمود محمد مصري**: "بأن التحرش الجنسي أو الاعتداء الجنسي، هذا يؤدي إلى تدمير الشعور بالكرامة الذاتية وبالتالي يدفع إلى تنمية الشعور بالذل والعار، كما أكد أيضاً السيد **محمد عبد الرحمن الجندي**، أن ما يزيد من حجم المشكلة وتفاقم الجرائم، حيث أن حالات اغتصاب الفتيات، أو ما يسمى الاعتداء الجنسي على القاصر في مرحلتها الطفولة والمراهقة يعود إلى ارتفاع انتشار الإدمان على المخدرات، بل أن الأخطر من ذلك في الوقت الحاضر ما يحدث من اغتصاب ووحشية نحو المحارم"⁽²⁾.

إذن وكل تحرش جنسي ممارس على الجسد الإنساني، يؤدي إلى تشويه السمعة من طرف الآخر، وهذا السلوك المخزي يمس الشريحة المستضعفة.

إذن فممارسة العنف الجسدي، المتمثل في مظهر الاغتصاب لا يقتصر فقط على الإنسان، بل يمس أيضاً الحيوان، ويتمثل في الاعتداء الجنسي عليه، ويتجلّى ذلك في رواية "قتاوى زمن الموت" لـ **إبراهيم سعدي** "حينما اعتدى زربوط جنسياً على البقرة، بحيث استغل براءة الطفل الراعي، بعدما أطعمه بقطعة خبز مع علبه سردين، أما زربوط فقد مارس

¹ - البيت الأندلسي، ص 73.

² - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية، نطاقات وتفاعلات، ص 58، 93.

الجنس على البقرة، التي لا تعرف ما يحدث لها"⁽¹⁾، وهذا يبرز بشاعة هذا السلوك اللا أخلاقي الصادر من هذه الشخصية التي لم تستطع التحكم في شهواتها وغرائزها الحيوانية.

المظهر الخامس للعنف المادي يتمثل في:

ه/ العنف المادي/ الكسر والهدم

إن السلوك العنيف لا يمارس فقط على الجسد، بل وأتينا في حالة غضب شديد قد نقدم على فعل عنيف، فنكسر الأشياء أو نقوم بعملية الهدم، الذي هو شبيه بظاهرة الاغتصاب وتجلي هذا المشهد في نص البيت الأندلسي "عندما قرر معهد الديوان العقاري ودار البلدية في هدم البيت الأندلسي، فظهر ذلك كمن يعري جسد المرأة لاغتصابها، سقطت الإضافات السطحية، تبعتها الأجزاء العليا والأعمدة الجانبية، وشعرت كأن الأرض تتزف دما، قبل أن تسلم نفسها لقاتلها، كانت هذه التربة تموت تحت الأسنان القاسية للآلة"⁽²⁾. هذا المقطع يتضمن في طياته، قرارا صارما بحيث يصور لنا تفاصيل هدم البيت، ومدى معاناة باسطا من جراء ذلك السلوك اللا إنساني.

من مظاهر العنف المادي أيضا تكسير كل الأشياء التي تجدها أمامك، وهذا لسبب ألا وهو الغضب، الذي يفقد العقل، ويتلاعب به الشيطان، وهذا ما تجلى في نص البيت الأندلسي "عندما أقدمت باربي السمينية (مادام لوبيز) بكسر جزء مهم من خشب البيانو ووضعت في النار ليحترق، كما ظلت تنزع منه قطعة قطعة حتى نفذ، ولم يبق سوى الأسلاك والهياكل المعدنية والبلاستيكية، وما فعلته باربي السمينية للبيانو، هو تكملة لما فعلوه أولاد أخيها السبعة، عندما حولوا البيانو إلى لعبة إثر زيارة عمتهم في عيد الأضحى فأحرقوا أحشائه، وهكذا تحول إلى هيكل عضمي، بحيث فقد هيئته، كما قامت مادام لوبيز أيضا على تكسير أثاث البيت، بمجرد سماعها بأن زوجها لديه عشيقة، فلقد صرح مراد باسطا أن عندما عادت مادام لوبيز إلى البيت، سمعتها تكسر الأواني، فأدركت أنها في

¹ - فتاوى زمن الموت، ص 12.

² - البيت الأندلسي، ص 442.

أقصى درجات نوباتها المزمنة، ولم أسمع إلا تكسير الزجاج وقطع الأجسام الغريبة التي كانت في مهرجان تدميري، وكنت أتخيل قوتها وعنفها، وعندما ترمي بالكل من النافذة تطلب مني ومن لالة مولاتي، تنظيف المكان قبل وصول زوجها⁽¹⁾، ولأن **الفينكا** يقضي جل وقته في الخارج، ويعود في ساعة متأخرة من الليل مسحوباً معه شابة جميلة، وفي هذا الصدد يعرف **فرج عبد القادر العنف** "هو ذلك السلوك المشوب بالقسوة والعدوان، والقهر والإكراه هو عادة سلوك بعيد عن التحضر والتمدن، تستثمر فيه الدوافع والطاقات العدوانية استثماراً بدائياً كالضرب والتكسير والتدمير للممتلكات واستخدام القوة ضد الخصم."⁽²⁾

إن فتجسيد تلك الطاقة الغضبية في شكل مظاهر مادية، قد يخفف من شدة الاضطرابات النفسية، والتفكير في إنتاج خطاب العنف وممارسته في مختلف المجالات.

¹ - البيت الأندلسي، ص 365-375.

² - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية، نطاقات وتفاعلات، ص 45.

المبحث الثاني: العنف المعنوي/ الفكري/ اللفظي في الروايتين:

1- ظاهرة الشتم والسب

تتمثل هذه الظاهرة في إصدار أقوالا أو كلاما عنيفا تمس كرامة الفرد، بحيث يتضمن في جوهره وحقيقته معنى التهديد والتخويف، إلى حد تجعل الآخر بعد تهدئته يخجل، ويندم من ذلك الملفوظ البذيء، فمعنى شتم في "مختار الصحاح" ش ت م: «الشتم السب وبابه ضرب، والاسم الشتيمة والتشاتم التساب والمشاتمة المسابة، ومعنى الشتم أيضا في "لسان العرب"، قبيح الكلام وليس فيه قذف والشتم السب شتمه يشتمه، ويشتمه شتما فهو مشتم والانثى مشتومة»⁽¹⁾، وهذا ما نجده في رواية البيت الأندلسي لـ"واسيني الأعرج": عندما قال مدير المكتبة الوطنية لحفظ المخطوطات لأحد موظفيه عندما رأى "تورية": «واش راها تدير هنا هذه القحبة، ما نزيدش نشوف رباها. وإلا نظيرك؟ ولما سمع ذلك "سليم" قال: للموظف لكي يسمعه المدير: قل للإمبراطور ديالك، النهار اللي تولى المكتبة ملك باباه، ستتوقف هذه القحبة التي أحبته يوما عن طريق الصدفة، عن المجيء، وأنا سأدخل المكتبة الوطنية في الوقت الذي أشاء، وإذا ما حبش، يضرب رأسه إلى الحيط أو يستدعي شرطته التي تحرسه»⁽²⁾، في بعض الأحيان تصدر من الشخص في حالة عنف شديد، ألفاظا قاسية لا يتقبلها العقل، لأنها تمس بكرامة وشرف الفرد فتهينه لأنها جرحته، وجعلته أضحوكة ومهزلة أمام الجميع.

في الغالب أنّ العنف اللفظي يصدر من الشخصيات التي تملك مكانة ومنزلة في المجتمع، فهي حرة في فرض قوانينها وغطرستها متى شاءت على الشعب المغلوب، لأنها تنتظر إليه باحتقار ودونية، فتصدر عليهم أحكاما وأقوالا سيئة وجائزة توحى بعنف وغضب الإنسان وهناك أيضا من الأشخاص الذين يعاملون الآخر بالسوء إلى حد يكرهه حياته ويحط

¹-معاجم اللغة العربية معنى وشرح كلمة شتم: قاموس عربي عربي، في 5 ماي 2016 على الساعة 10:00، على

الموقع: www.maaajim.com/dictionary.

²- البيت الأندلسي، ص15.

من شأنه وهذا ما تجلّى في رواية البيت الأندلسي حينما قالت "سارة" وهي تشتكي من سوء معاملتها، من طرف "البغل القبرصي": «في اعتقادك أنا لست، أكثر من قحبة التي كل ما احتاجها وجدها أمامه، لتمارس دور العشيقّة، ودور القحبة التي تلبي شهوات الجسد. وهذا يبرز مدى الإهانة التي يلحقها الآخر فيك، وبالتالي بدورك تهين نفسك أيضا.

بمجرد أن يدخل الإنسان إلى السجن يصبح أنانيا فيتحول إلى حيوان مفترس، بحيث يتجرد من إنسانيته، فيصبح شبيها بالحيوان، لأن كثرة معاناة ذلك الشخص، خلقت إنسانا أو ذاتا معقدة وعنيفة، وذات مختلف أنواع المرارة، وهذا ما نجده في هذا السياق الوارد في رواية البيت الأندلسي، حيث قال "غاليليو الروخو" عندما سقطت امرأة من كثرة الازدحام والدفع داخل السفينة التي تقلنا إلى وهران، لم يسعفها أحد بما في ذلك زوجها أو مرافقها جرها الحرس، ووضعوها ككتلة من الزبالة، وقالوا لمرافقها: «احمل معك زبالتك، ولا تتركها وراءك وإلا سنضطر إلى رميها في البحر»⁽¹⁾، وهذا يدل على احتقار الآخر للجنس الأنثوي.

من العنف اللفظي الوارد في النص نفسه أيضا، الحوار الذي جرى بين "ديدو" وهؤلاء الشباب الملتئمين الذين تبعوه إثرى خروجه من حفلة التي أقامها مع أصدقائه لأنه مغني، كما أنه صديق لأحد العساكر حيث قال له الشباب بعد إخافته بالسكين: «واش عندك يا طحان فقال "ديدو" أنا ما عندي والو، فقالوا له: ستري ما ينتظرك يا عطاي المرفهين، وقال لهم "ديدو": هذبوا كلامكم، فأجابوه: راح نوري لك يا قحبة العسكر على واش راني قادر»⁽²⁾ صعب أن يكرهنا أحدا ونحن لا نعلم سبب ذلك الكره، فنصبح مطاردين طوال حياتنا دون أن نحس بذلك، أو يعملون على اختفائنا في ظروف غامضة دون أن يعلم بها أي شخص.

مثل هذه الحالات كثرت كثيرا في واقعنا اليومي، دون أن نجد لها تفسيرا وشرحا لتلك الظاهرة، كما أثار "الفينكا" غضب "مراد باسطا" عندما نفى ملكيته في البيت الأندلسي فقال

¹ - البيت الأندلسي، ص ص46، 94.

² - المصدر نفسه، ص242.

"باسطا": «ورائحة فمه الكريهة التي امتزجت فيها رائحة الثوم بالبصل الأخضر والبيرة ورطوبة الحمامات، كنت أريد أن أبصق على وجهه الذي نحف وجف حتى أصبح يشبه وجه ميت، إن الغضب الشديد يعمينا العين إلى حد يجعلنا نتمنى ان نمحي صورة الشخص الذي نمقته ونكرهه من الدنيا، كما يظهر كره "الفينكا" لـ"مراد باسطا" أيضا وتجلي في هذا المقطع من الرواية حيث قيل لي في البلدية إنهم طلبوا منك الخروج، ولكنك عصيت وأمر الدولة لو لا تاريخك وتاريخ عائلتك الطيب لردموك في السجن، ولردموك في الحفرة من الحفر حتى الموت، ولن يسمع بك أحد حتى تلتصق عظامك بالتربة الأرض وتتحول إلى غبار»⁽¹⁾، إنه كلام مملوء بالعنف، والشتم باللغة العامية الجزائرية تقلل من حدّة العنف، كما أنّ الإنسان أثناء غضبه يسبّ بلغته العامية دون اللجوء إلى لغات أخرى.

كما أن هناك أشخاصا يبحثون دائما من أجل أن يورطونا في أعمال خطيرة، ثم يتركونا في منتصف الطريق نعاني لوحدها، ومن دون أية مساعدة، وتجلي ذلك في سياق آخر من عالم البيت الأندلسي، عندما ورط "أبو الياس" "الفينكا" في تجارة المخدرات، وبعد ذلك تظاهر "أبو الياس" بأنه تخلى عن تجارة الغبرة، والدليل أنه ينوي فتح سوق الحجاب بالإضافة إلى أنه يريد الذهاب إلى الحج، ولكن "الفينكا" لقد كشف تلاعبه، فقال من شدة الغضب «ابن الكلب! أكل كل شيء، وما زال يشمشم عن جيفة أخرى، يدخل فيها أنفه»⁽²⁾ وكل هذا عبارة عن مكيدة وخدعة ضد "الفينكا" من طرف هؤلاء المجرمين، الذين يعملون المستحيل لإيقاع الفريسة في شباك العدو، الذي لا يرحم.

كما تعتبر اللغة جسما من الأصوات، فهناك عنف يعبر عن صرخة الخوف، كما تقول بالفرنسية، يستطيع صوت أن يخترق طبلة أذني، وهذا يطابق «مارغريت في

¹ - البيت الأندلسي، ص355.

² - المصدر نفسه، ص375.

فاومست" بحيث أدى غنائها أو صوتها المنبعث منها، إلى تكسر عدة قطع زجاجية»⁽¹⁾ إذن فعنف الصوت يخترق الأذن، وكأنه دوي من الرصاص، وخاصة في حالة الغضب والثوران. قد يصدر العنف اللفظي كالشتم، في معظم الأحيان، من الملاك على من كان أدنى مرتبة منهم، فيستعمل أو ينعته بأقبح أو أبشع العبارات، وهذا ما تجلى في رواية "كراف الخطايا" لـ"عبد الله عيسى لحيلج" حينما قال الدركي لـ"منصور" «الآن يجب عليك أن تنهق كالحمار، ولا تتوقف حتى أشير إليك بالتوقف»⁽²⁾ ومثل هذه الألفاظ تلحق الإهانة بصاحبها فيصبح لا شيء، ومحل استهزاء لدى الآخرين، إذن فالدولة لا يعترض عليها أحد تهضم حقوق الأفراد، ويسكتون أمام اصدار قوانينها الجائرة، والمتعسفة، كما تفرض الدولة في بعض الأحيان ملكيتها وسيطرتها على أملاك، التي لا تمت لها بالصلة، أو ليست لها كرجبتها في الحصول على البيت الأندلسي، وتحويله إلى مشاريع يخدم مصالحها الخاصة تجلى ذلك في رواية "البيت الأندلسي" حيث قال "مراد باسطا" «سأصرخ في الساحة العامة بأن الورثاء أصبحوا ضباعا، وأن الضباع أصبحت قاتلة»⁽³⁾.

إن الإنسان أناني بطبعه، ينظر فقط إلى ما يجلب له السعادة، دون النظر إلى الضرر الذي يلحقه بالآخرين.

كما وردت ظاهرة الشتم في رواية "فتاوى زمن الموت" لـ"إبراهيم سعدي" بحيث أنّ الكره الذي نكّنه لشخص ما، يجعلنا أو يدفعنا أثناء الغضب إلى الإساءة إليه وسبه، ووصفه بعبارات بشعة ومقرفة، وتجلى ذلك في هذا السياق من الرواية السابقة، حينما وصف "ابن عمار" بائع الخردة "حسين الميكانيكي" الذي تشاجر مع والده بأبشع العبارات: «أنا أفهم لماذا تتكرون معرفتكم بذلك الفأر الذي تجرأ البارحة على رفع رأسه الكريه أمام أبي، فأنتم تعلمون بأنه حين أقع عليه أهشم وجهه الخبيث... إن لقيته قبل أن أراه، قل له بأنه يحسن

¹ - بان جاك لوسركل، عنف اللغة، بيروت، ط2، 2006، ص399.

² - الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص94.

³ - البيت الأندلسي، ص115.

به أن يشهد شهادته الأخيرة، لأنه لن يجد الوقت الكافي لذلك، حيث أضع يدي عليه... فلقد واصل في سب سكان الحي النتن، وأنهم من أبناء الزنا، وبناته عاهرات جميعا»⁽¹⁾ إن الواقع المعيش يفرض علينا أن نكون عنيفين إلى درجة لا يمكن وصفها ولهذا فإن أكثرية الشعب الجزائري دائما في تعصب وهمج لأن الظروف هي التي فرضت ذلك، وهذا يؤدي إلى تحولهم إلى كائنات شرسة، يصعب التحكم فيها، ولهذا لا عيب ولا حرج أن نطلق عليهم ألفاظا، ونعوتا سيئة، وهذه الظاهرة التي تتضمن معنى السب، أو ما يسمى بالعنف اللفظي يتوفر في نص "فتاوى زمن الموت أيضا"، حينما جرى شجار حاد بين "حسين الميكانيكي" و"عمار بائع الخردة"، حين صرخ الأول في وجه "عمار" وصاح: «أبناؤك نشأوا في الاسطبلات... إنهم لا يختلفون عن البهائم، فرد له "عمار" بعنف شديد كأن «هذا يعني أن إختك أنت من عباد الله، أنظر إليهم جيدا إذن، إنهم دون مرتبة الحيوانات! فرد عليه "حسين" اسمع أيها الشيخ! إذا كنت حريصا على أن لا تذهب هباء سنوات عمرك الباقية فأنا أنصحك بأن تراقب جيدا كل كلمة تخرج من فمك، فرد عليه "عمار" مرة أخرى، أعلم أيها الولد بأن أمثالك أسحقهم بأظفاري، كما أسحق القمل، فأنت لا شيء عندي! ولكن يبدو أنك لا تعرفني كما يجب فحذار!... إن الأمر سوف يكلفك غاليا تدارك شأنك قبل فوات الأوان»⁽²⁾ إن هذا الحوار يحمل في طياته عنفا قاسيا جدا، يوحي بالاشمئزاز والسخرية.

هناك سياقات أو تراكيب لغوية تحمل عنفا لفظيا في روايتي "فتاوى زمن الموت" و"البيت الأندلسي" يمس بالأخلاق والدين سواء في مستوييه الفردي أو الجماعي.

أ- الشتم على المستوى الفردي

تجلى هذا المستوى في رواية "فتاوى زمن الموت"، عندما جاء "زربوط" إلى الملاك "مبروك" ليطلب منه أن يصلي معهم في المسجد، ولكن هذه الفكرة لم تعجب "مبروك" فقال "لزربوط" «هل تعتقد أنني سوف أصلي معكم، إذا ما أوردت الصلاة؟ لو تعترض طريقي مرة

¹ - فتاوى زمن الموت، ص ص 6-7.

² - المصدر نفسه، ص ص 3-4.

أخرى أكسرك كالغصن المنخور»⁽¹⁾ إن طبيعة الإنسان لا تأبى من يفرض عليها أشياء بقوة وغير مرغوب فيها، إذن تفسير هذه الظاهرة تتمثل في الانحراف عن الدين وعدم الايمان به كما أن إهمال الصلاة نعاقب عليه يوم القيامة، لأن الله سبحانه وتعالى أوصانا بالصلاة جميعا.

ب- الشتم على المستوى الجماعي

هذه الخاصية من العنف اللفظي وارد في البيت الأندلسي كذلك، والدليل على ذلك عندما أراد أصحاب الديوان العقاري، الاستيلاء والسيطرة على البيت الأندلسي فنعتهم "يوسف النمى" بالضباع، ولهذا انشغل بهذه القضية ودافع عنها بكل قوته، وكتب مقالا فوضع له عنوانا استفزازيا ومثيرا «تاريخ في الزبالة، وعصابة العقار تتقاتل على البيت الأندلسي، ولما اكتشف هؤلاء المهيمين على العقار، وسادة الميناء، وسوق المخدرات، أن الكتابات الصحفية "يوسف النمى" كانت ضدهم، وبالتالي اتهموه بتهمة لا أخلاقية، والتي تتمثل في أن انتحار "الكاهنة" هو السبب في ذلك، بحجة أنها كانت حاملا منه ولما رفض الزواج بها انتحرت، وهذا كله تشويه صورة الصحفي "يوسف النمى" من طرف هؤلاء الأوغاد، وكل من يقف ضدهم. ومن شدة حزن وغضب "يوسف النمى" على ما جرى لحبيبته "كاهنة" فأراد الثأر على كل من تسبب في تلك الفضيحة التي جرحته، فقال في هذا السياق من الرواية: أعرف أنهم قتلة، لن أصمت على دم "كاهنة" الملطخة، لن أصمت المؤكد أن هناك دما آخر في أكفهم الملطخة، لن أصمت، يملكون آلة الموت»⁽²⁾، وهذا يعني أن سب "يوسف النمى" لأولئك المجرمون لربما يخفف من شدة المعاناة والألم الذي يختلجه في داخله.

في بعض الأحيان نطلق ألفاظا على أشخاص، أو جماعة معينة تتضمن معنى الشتم نظرا إلى الأفعال والسلوكات السيئة التي يقومون بها، وهذا يظهر جليا في رواية "سرديات

¹ - فتاوى زمن الموت، ص 60.

² - البيت الأندلسي، ص ص 223، 226.

العنف والمنفى " لـ"محمد شحات": «إنهم دوما قتلة، إرهابيون، جزارون متوحشون، جهلة، ملتحون، مكبوتون، ظالميون»⁽¹⁾ وكل هذه الصفات ترتبط ارتباطا وثيقا بنفسية الفرد المريضة والمعقدة التي دفعتها إلى التعبير عن ذلك، وبالتالي تجسيد تلك الطاقة الغضبية العنيفة والمكبوتة في أشكال السب والشتم، والبصق وإلى غير ذلك من الأفعال الشنيعة.

2-ظاهرة السخرية

معنى السخرية في معجم المعاني الجامع -معجم عربي عربي «من مصدر سخر والاسم سخرية، والسخرية: هزء وتهكم، والفعل (سخر)، والمفعول (مسخور) يقال سخر من منافسته: هزئ له، ولذعه بكلام تهكمي احتقره، وقال هود في آية 38: «إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم (قرآن)»⁽²⁾.

هناك تعريفات كثيرة اسندت لمفهوم السخرية، كما وردت في هذا السياق التالي: «يعني بها النقد والضحك أو التجريح الهازئ، وغرض الساخر هو النقد أولا والإضحاك ثانيا وهو تصوير الإنسان تصويرا مضحكا: إما بوضعه في صورة مضحكة بواسطة التشويه الذي لا يصل إلى حد الإيلام، أو تكبير العيوب الجسمية أو العضوية أو الحركية أو العقلية، أو ما فيه من عيوب التي تتجلى في السلوكات مع المجتمع. إذن كل ما يضحك فهو هزل بحيث أقدم صور السخرية في التاريخ البشري، وأكثرها انتشارا بين العامة هي السخرية "بالمحاكاة" في الكلام والمشي والحركات الجسمية، أو التصوير الكاريكاتوري المبالغ، بحيث يوضع الشخص في صور مضحكة: كالمبالغة في تصوير عضو من أعضاء الجسم، ومحاولة تشويبه إلى حد ما»⁽³⁾.

¹ - شرف الدين ماجدو لين، الفتنة والآخر، أنساق الغيرية في السرد العربي، ص117.

² - معنى السخرية في معجم المعاني الجامع معجم عربي عربي، في 25 جوان 2016 على الساعة 16: 00 على الموقع

. www.almaany.com

³ - مفهوم السخرية في معجم لسان العرب، في 1 ماي 2016، على الساعة 17: 00 على الموقع-
www.wikipedia.org/wiki/ar.

نعلم أنّ من طبيعة الرجل، أنّه يحاول دائماً أن يظهر نفسه أقوى من المرأة، وبالتالي يجعلها في أدنى مرتبة، كونه صاحب السّلطة والقرار الذي يصدره لا بدّ من الالتزام به، وإلّا ستتعرض إلى الإهانة والعنف اللفظي إلى حد يجعل مثلاً زوجته محل سخرية، فوضعها في نفس المرتبة مع الحيوان، وهذا ما نستشفه في هذا المقطع الوارد في رواية البيت الأندلسي حيث أنّ "الحاج إبراهيم" قال لزوجته الثالثة: «أنت هنا إذا شئت، تأكلين وتشربين، ولكن إذا ما عجبكش الحال الباب يفوّت بقرة، فزوجته كانت تفهم جيّداً، أنّ لا بقرة غيرها، ولا باب غير باب منزلها، وذكر لفظة البقرة هنا يوحي إلى تشويه المظهر الجسمي للمرأة، بحيث تصبح سميئة وبشعة وبالتالي تكون محل استهزاء وسخرية، وفي نفس الرواية السابقة وردت أيضاً عبارات قاسية توحى بالسخرية والتقليل من الشأن، وتجلّى ذلك عندما قال ذلك الرجل ذو اللحية "علي بومباتوميك": تعرف واش نقول لك أنا؟ روح نيف بعيد، يا الله طر عند يماك، باين من كحل عينك إمّا قواد أو ... عطاي، وأنا لا أحب القوادة ولا العطاية، طر وإلّا نحرق اللحية التي على وجهك»⁽¹⁾، وهذه الكلمات بمجرد سماعها نصيب بخيبة أمل ويقشعر البدن، وفي نفس الوقت تؤدي بنا إلى الضحك، ولكن نضع ذلك الشخص الذي ألحقت به الإهانة في درجة لا تسوى شيئاً بسبب تلك السخرية التي ألحقت به.

إنّ التذمّر والمبالغة في المساس بكرامة شخص ما، والتدخل في شؤونه كل ذلك تجعل صاحبها يتخيل بالقيام بأفعال شنيعة لا يتقبلها العقل، لأنّها تبعث فينا الرعب والهزل في نفس الوقت، وهذا ما نجده في نص البيت الأندلسي «عندما قال "الفينكا" لقطاع الطرق الذين اتوا إليه ليخبره، أن يغيّر من تجارة الغبرة (المخدرات)، إلى تجارة الحجاب، والتفت نحوهم «بحيث أراد ان ينزع لأحدهم خصيتيه، ويضعهما في فمه، ويبيعت به عند قائده، الذي

¹ - البيت الأندلسي، ص ص 105-122.

أمره بالتوقّف عن مهنته»⁽¹⁾ إذن ما أبشع وأقبح الكلام عن الأعضاء التناسلية علنية، ودون الشعور بالحشمة والحياء من جرّاء تلك الملفوظات الدنيئة.

من العنف اللفظي الوارد في نص "فتاوى زمن الموت" لـ"إبراهيم سعيدي"، والذي يتضمن في طيّاته مزيج من التّهكم والسّخرية، ما يظهر ذلك في تراشق الألفاظ المنحطة والبذئية بالتناوب بين الشخصيتين "عمار" و"حسين الميكانيكي"، حينما احتدت ملامح وجه "حسين" أكثر فأكثر فقال له: «هذه أوّل مرة وآخرها، يرد ذكر أمّي على لسانك النتن... الناس الموجودون هنا شهود بيننا!!»⁽²⁾ ويرجع هذا النزاع إلى سوء تربية أولاد "عمار" وطيشتهم، جعل سكان الحي يقدّمون شكواهم ضدهم، وبالتالي سرعان ما ينشب صراع عنيف بينهم، بدءا بتراشق وتبادل ألفاظا مخلة بالحياء، وكان من الممكن أن يستحي المرء بالتلفظ بها، ولكن في حالة الغضب الشّديد قد تتحول السّخرية، إلى ما هو أسوء، كما كانت زوجة "عمار" التي تدعى "خديجة" بدورها عنيفة مع زوجها، بحيث تشد مكنسة وتطرده من البيت، كما كانت دائمة العراك مع جاراتها كلما تشاجرت معهنّ تقوم «باتّهامهن بتربية الدّجاج في البيت، أو بتعاون رجالهنّ مع الاستعمار، أو معاشرّة الفاسقات والسّاقطات من النّساء، وهي بدورها أي "خديجة" تتلقّى الإهانة والسّخرية، من قبل جاراتها اللّواتي يتضرعنّ إلى الله، إلى درجة أن يجعل زوجها يتزوج عليها بثالثة ورابعة، أو يعطيها ذكورا لهم أذنان خنازير، أو إناثا تنمو لهن اللّحي، ويتهمونها أيضا أن لها العديد من العشاق»⁽³⁾. فهنا الإنسان من المفروض أن يتحكم في نفسه أثناء الغضب، لكي لا يكون محلّ سخرية لدى الجميع، وأن يبتعد عن هذه الصورة الشديدة للاستهزاء والهزل، بل وعليه، أن يتصف بالرحمة والتّسامح، والاستغفار وتهذئة الأعصاب لأن ديننا الحنيف يدعونا إلى ذلك، والإيمان أن كلّ ما جرى من تلاعب الشيطان لعنه الله.

¹ - البيت الأندلسي، ص375.

² - فتاوى زمن الموت، ص4.

³ - المصدر نفسه، ص5.

من السلوكات التي توحى بالسخرية والتهكم والتي ظهرت بشكل جلي في رواية "فتاوى زمن الموت" هي تلك الحيل والمغامرات المهزلة والمضحكة التي قامت به شخصية "زربوط" وسمي بهذا الاسم دليل على صغر قامته، وهذا مثير للتهكم والضحك، «فقد قام "زربوط" وجماعته وهذا من تدبراته السيئة والشيطانية، بتفتيش أغراض "برأسين" الفقير لعلّ يجدون نقوداً، الذي يتحصل عليها من صدقة الناس، ولكنهم لم يجدوا شيئاً، والأسوأ ما حصل لهم عندما اجتاحهم القمل فأحضر "زربوط" مبيد حشرات، تفادياً لانتقال القمل إلى منازلهم، ولكن بسبب ذلك القمل وزيادة رائحة المبيد، الذي رش على ملابسهم لقتل القمل، لم يجدوا حلاً سوى نزع ملابسهم، والعودة إلى منازلهم عراة، حتى انقضت بضعة أيام، وجدنا "زربوط" في السوق قد بسط تلك الثياب التي خلعناها في ذلك اليوم، على الأرض في السوق لكي يعرضها للبيع»⁽¹⁾ هذا إذن من حيل "زربوط" التي يمكن تفسيرها على أنها تصرفات هزلية فكاهية، كما توحى بالإهانة التي ألحقت بهؤلاء الأشخاص، الذين انخدعوا، بنزع ملابسهم وبالتالي بيعها من طرف "زربوط" ومن السلوكات الساخرة التي يقوم بها "زربوط" أيضاً تجلت من خلال الرواية «أنّه يضع على كرسي معلمته شعيرات دقيقة وضارة حسب ظنه، وهذه من أعمال الشعوذة كان يأمل من ورائها أن تصاب بمرض فيجعلها تغيب عن العمل»⁽²⁾ وكل هذه التصرفات السيئة والمشغبة التي تصدر من "زربوط"، هو ما جعل مدير المدرسة بصفحه ذات يوم فبال في سرواله، وهو سلوك قد يؤثر في نفسية الفرد فيتحول ذلك ربما إلى عقدة عنده تصاحبه حتى في كبره.

¹ - فتاوى زمن الموت، ص9

² - المصدر نفسه، ص10.

الفصل الثاني:

مستويات خطاب العنف وأبعاده

في الروايتين

المبحث الأول: المستوى الرسمي

المبحث الثاني: المستوى الخاص / الفردي

المبحث الأول: المستوى الرسمي

1- العنف السياسي/ السلطوي

قسمت شادية قناوي، العنف إلى نوعين: «العنف الرسمي (المشروع) والعنف المضاد (المجرم)، والعنف الجماعي (violence collective) يتمثل في حالة الإرهاب أو الحروب وتختلف الاستجابات الاجتماعية تبعاً لاختلاف نوع العنف، كما أنّ لكل نوع أسبابه وتفسيراته المختلفة»⁽¹⁾ إذن فالعنف الرسمي، تسيّره قوانين مرسّمة من طرف السلطة والدولة المسيّرة لحياة الفرد في المجتمع.

قد تعلن القناة التليفزيونية فضائح القتل، فهي تكشف عن حقيقة المسؤولين والرؤساء الذين يحكمون الأمة، وذلك إثر «قتل الدكتور "إسماعيل ماجد السمرائي" في غرفته في نزله الكائن بشارع الحرية، فهو من جنسية عراقية جاء إلى الجزائر بعد حرب الخليج، ويشغل في مكان حساس، ويعيش لاجئاً سياسياً، والكلّ يعلم أنه يشغل في المفاعل النووي العراقي قبل أن يتحول إلى البرنامج النووي السلمي لعين وسارة؟»⁽²⁾ ربما سبب قتله من طرف هؤلاء بما في ذلك الوكالة الدولية للطاقة هو شكوكهم أنّ برنامجه غير سلمي.

إن أصحاب السلطة الذين يشرعون القوانين، يملكون قوة وقدرة على فرض قوانين مستبدة وظالمة تقهر الشعب الضعيف أو المهمّش والمغلوب عليه، ويتجلى ذلك مثلاً فعلته محاكم التفتيش المقدس، بعدما هجرت "غاليليو الروخو" مع بقية الناس إثر سفينة إلى منفى الجزائر، ولقد وصف "غاليليو" ذلك المشهد: «جاءتني قوة أصداء الصرخات، والناس يتقاتلون على حافة البحر، لا نجدة ولا سفن تأخذهم، الأطفال يفصلون عن أمهاتهم ويتحول النذب والعويل إلى كورس جنائزي بلا حدود، وهذا يوحى إلى الأوضاع المزرية التي آل إليها

¹ - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص ص 55-58.

² - البيت الأندلسي، ص 51.

الشعب، بما في ذلك الأطفال الذين لا يعرفون ولا يعلمون ما المصير الذي ينتظرهم مستقبلاً.

إن دولة معينة لا تستطيع القيام بحرب لوحدها، بل تحتاج إلى دعم من دولة أخرى لمواجهة العدو، وهذا ما تجلّى في البيت الأندلسي عندما طلب قائد الأسطول الإعانة والمساعدة من السلطات العثمانية، لمساعدة المسلمين الموجودين في غرناطة، ولكن رأى الملك فيليب والقادة الإسبان والبابا ورجال الكنيسة، إلى ضرورة تدخل الجيش الإسباني، بكل ثقله لوضع حد لهذه الانتفاضة وإخمادها بأسرع ما يمكن، وقتلها في عشاها، قبل أن يتمكن السلطان العثماني من جمع قواته المنتشرة في البلقان وشرقي أوروبا ومن ثم توجيهها إلى إسبانيا⁽¹⁾.

إنّ هذه الهجمات القوية التي تشنها السلطات الإسبانية على المسلمين، لسبب ألا وهو التدين بالإسلام ورغبتهم في تمسيحهم، صرامة القوانين المطبقة من طرف الدولة، في رغبتها الملحة إلى تحويل البيت الأندلسي إلى برج عظيم، تحت قانون البيان فاكا والمقصود به الأملاك الشاغرة، من التركة الاستعمارية، وتجلّى ذلك في هذا السياق الوارد في رواية البيت الأندلسي عندما قال "مراد باسطا" لـ"كريمو": «أنا لن أسلم في حقي ودمي، أنت لا تعرف ماذا تعنيه تلك الدار بالنسبة لي، في كل زاوية أصوات ونداءات، تنفس الرعب، وصرخات استغاثة، أعرف كل ناسها وساكنيها الذين عبروا أبوابها أمواتاً أو أحياءً، واليوم يا ابني يقاوم هذا البيت قتلة من نوع جديد»⁽²⁾ وهنا في الأخير تحقق حلم الدولة بهدم البيت، فهذا الموقف ترك شخاً وحزناً عميقاً في قلب "مراد باسطا".

من تجليات عنف وخبث قوانين البلدية، الحيل التي تمارسها من أجل رغبة ألا وهي أن يصبح البيت الأندلسي تحت ملكيتها وسيطرتها وتمثل ذلك في قول "مراد باسطا": «كنت

¹ - البيت الأندلسي، ص ص59، 84.

² - المصدر نفسه، ص111.

أعرف أكثر من غيري، أنّ البلدية لم تبع البيت الأندلسي لتسهيل مهمة السكان، ليستفيدوا من سوق واسعة قريبة منهم، ولكن ليستفيدوا هم، لقد تحولت البلدية في هذه الحالة إلى سمسار كبير، يتحكم في سوق أراضي البناء والعمران الجديد لا شيء يمر بدون رضاهم وهذه المسألة لا تتوقف عند حدود البلدية، ولكنها تصعد بعيدا إلى الدوائر العليا في البلد»⁽¹⁾ هذا يظهر أيضا جليا في واقعنا، فكل من يسعى إلى الحكم من أجل هضم حقوق الآخرين والسيطرة على أملاكهم.

فالسّلطة بدلا من أن تحقق مصالح وأمن الآخر فإنّها تهدد تلك المصلحة وهذا ما أدى إلى طرح هذه القضية في الرواية الجزائرية المعاصرة المتمثلة في مسألة العنف، الذي شهدته الجزائر في عقد التسعينيات، ودون أن تحدد أسبابه ودوافعه، فإنّها تشير ضمنا أو علنيا إلى عنف آخر مثله، هو فساد السلطة، ويتمثل الفساد في «سوء استخدام السلطة أو النفوذ العام بهدف الانحراف عن غايته، وذلك لتحقيق المصالح الخاصة أو الذاتية، بطريقة غير شرعية، ودون وجه حق»⁽²⁾.

المقصود هنا بالسلطة كل مسؤولية من أعلى الهرم، فلم تترك منصبا إلا وعترته، كما تعتبر السلطة نفسها ليست طرفا سياسيا، ينتمي إلى هيئة أو مؤسسة سياسية، أو سلطوية مع أنها جزء من واقع معيش، يشكل أعلى مستوى للتعبير عن وعي الجماعة.

2- العنف الممارس من طرف محاكم التفتيش الإسبانية

لقد واجه المسلمون حياة صعبة في غرناطة، ومن مظاهر ذلك مثلا، اصدار الملك فرديناند وزوجته الملكة ايزابيلا «مرسوما ملكيا يقضي بضرورة تنصير المسلمين، لمّا حاولوا التّصديّ لهذا المشروع سحق المعارضون في حي البيازين تحت سناك الخيول، وتحول الحي إلى ساحة للموت، وقام "الكاردينال خمينيث" والكنيسة الإسبانية بالقبض على المسلمين

¹ - البيت الأندلسي، ص ص128-129.

² - الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص166.

لمجرد الشبهة وحشدهم في ساحة غرناطة، بحيث تم إعدام مائتين من علماء المسلمين حرقاً أمام الجميع، حتى يكونوا عبرة لغيرهم، بالإضافة إلى جمع كتبهم ومصحفهم وحرقها فأغلقت مساجدهم، وحولت إلى كنائس، وأجبروا على تغيير أسمائهم العربية إلى أسماء نصرانية ومنعواهم من إقامة الحفلات على الطريقة الإسلامية⁽¹⁾ وهذا يبين لنا سياسة التمييز العنصري التي اتبعتها السلطة الحاكمة على المسلمين، وهذا لا شيء سوى محو الدين الاسلامي، وإقحامهم بقوة من أجل دخولهم إلى الدين المسيحي والإيمان به.

من الجرائم التي ارتكبتها أيضا المحاكم الإسبانية ضد الموريسكيين تتمثل في هدم قراهم، وبيع أملاكهم بثمن بخس، وقال أيضا "غاليليو" في هذا الصدد: «الدم سال كثيرا ونداءات الاستغاثة تملأنا، ولا أعتقد أننا نستطيع التراجع إلى الوراء، سيقتلنا الجيليون، قبل أن تعدمنا محاكم التفتيش المقدس، أحرقوا شبابهم وبتما أولادهم معنا، فعم الشر، وسادت المظالم، وانتشرت الروائح الكريهة، وأن الأتراك هم حلفاء للموريسكيين، يزودونهم بالأسلحة، وقد يقتلونهم أو تأكلهم المنافي إذا تحالفوا وتعاونوا مع الإسبان، كما رفضوا مبدأ الحوار مع الإسبان خوفا أن يتفاهم الموريسكيون مع الإسبان، بالإضافة إلى أن الأتراك كلما غضبوا على حاكم أكلوا رأسه وأتوا بغيره قبل أن يزيحوه أو يخنقوه، ويعوضوه بشخص غيره»⁽²⁾ وهكذا وقع المسلمون فريسة بين أنياب الأعداء، الذين يتحالفون ضدهم.

يعتبر البعد السياسي المتشابك بقوانينه الجائرة، من أخطر وأعقد الأبعاد بحيث يشكل بسلطته وبحكمه مآمرة يعمل على اغتيال الشعب العربي، فمن مظاهر أنظمتة التعسفية متمثلة في اقتحام العيادات الطبية والمستشفيات والمخيمات بالدبابات، وانتشار الجثث في كل مكان، وتكديس الأطفال والنساء في مخابئ أشبه بالمقابر، وبحيرة صغيرة تطفو فوقها رؤوس سيقان وأذرع وغيرها من الأشكال العنيفة⁽³⁾ ومثل هذه الوضعية المزريّة، نفسرها أنها

¹ - البيت الأندلسي، ص 79.

² - المصدر نفسه، ص 85، 87.

³ - ينظر: عبد الرحمن أبو عوف، القمع في الخطاب الروائي العربي، ص 76-77.

ظاهرة لا إنسانية، مارستها تلك الجماعة الرهيبة، بأجهزتها القهرية والمجحفة، في حق الأبرياء وسلب حريتهم، وجعلهم في تبعية مطلقة.

3- سياسة العنف عند الأتراك أو الرياس

لقد شهد العهد التركي ممارسات كثيرة، لها علاقة بهذا النوع من العنف، فقد كان الرياس يأتون برهائن من إسبانيا ثم يبيعونها للأغوات، وهذا ما تجلّى في البيت الأندلسي «عندما قام الرياس دالي مامي وأرناووط مامي، ببيع رهينتي "ميغيل سيرفانتس" وأخوه رودريغو" للأغا حسن فينيزيانو (حاكم الجزائر في العهد التركي) بمبلغ زهيد، حيث احتفظ بهما في الحجز قبل التنازل عنهما، ولكن الرجل الأحمر لم يعجبه البقاء في قصر الأغا كرهينة، وكان يخطّط للهرب عدّة مرات، فحذره "غاليليو الروخو" من ذلك، حيث شرح له المصيبة التي تنتظره، و تتمثل في تطبيق مستشار "الأغا" سياسة صارمة بحيث يوضع تحتك خازوق مثل الودت، ثم تجلس عليه ويأتي من يضغط على كتفيك بكل قوة، لتتلف في مكانك حتى الموت، ولكن "سيرفانتس" دس على نصائح "غاليليو" فهرب من قصر وعندما ألقى عليه القبض سجن، والأسوأ من ذلك قام "الأغا" بشنق المشرف على الحديقة، في ساحة القصر، ليكون عبرة للآخرين»⁽¹⁾ وهذا يوضح مدى صرامة الحكم المطبق على الرهائن والذين سلبت منهم حقوقهم وحرياتهم من طرف الحكام الذين يعاملونهم كالعبيد بحيث يباعون ويشترون في الأسواق فهم أشبه بالحيوانات.

فلقد أكد "أحمد زايد وآخرون" أنه «لا يمكن حصر أنماط العنف، لأن الحياة دائماً تأتي بالجديد من مظاهر السلوك العنيف الذي تختلف أنماطه، ومسبباته بتغير الظروف التاريخية في زمان معين، ومكان معين، وثقافة معينة، ولأن للعنف الممارس حسب ذكر

¹ - البيت الأندلسي، ص ص 258، 295.

"جون لوكا" له ألف وجه، وإن أشكاله مثل الأعداد تبدو لا متناهية»⁽¹⁾، وهذا يعني أنّ لكل شكل من العنف له دوافع وظروف متعلقة بمرحلة أو فترة معينة ومحددة.

بمجرد اندثار وزوال الورثاء الحقيقيين لشيء ما، يأتي من يستولي ويسيطر على تلك الممتلكات، ويحولها لصالحه وبالتالي يتصرف فيها كما يشاء، وهذا ما نلتمسه في هذا السياق الوارد في البيت الأندلسي «عند ما حوّل الغزاة البيت إلى مراكز عسكرية ومستشفيات، كما حوّلت أيضا الكثير من المساجد إلى اسطبلات ومصحات، وهذا في عهد الاحتلال الفرنسي، بحيث أنّ دخولهم إلى المدينة أفسدوها، وتركوها تصارع أعمال النهب والسرقة بالإضافة إلى ذلك تلك التصرفات الوحشية التي تقوم بها القراصنة أو الرياس، على الرهائن المسيحيين كتجويعهم، وشنقهم أمام الآخرين لتخويفهم، والأسوأ تقطع أذني آخر بسبب أو بلا سبب»⁽²⁾. وهذا السلوك الدنيء والعنيف الممارس على الرهائن، هدفه السيطرة عليهم وتدميرهم، وإلحاق بهم الاضرار الجسدية الغير المقبولة.

4- العنف الممارسة الإدارية تجاه وضعية البيت الأندلسي

يعتبر البيت الأندلسي من تشييد أحد الموريسكيين "غاليليو الروخو" فلقد مر بحقب ومراحل مختلفة، وكل مرحلة لها خصوصياتها وأحداثها، فبعد الإستقلال أرادت الدولة تهديمه لاستغلال مساحته الأرضية من أجل بناء برج عظيم، وهذا في عهد ساكن البيت "مراد باسطا"، كما تدخلت البلدية أيضا في عملية بيع البيت ويقول باسطا في هذا الصدد: «بدأت بعد ذلك عمليات الهدم وعزل البيت نهائيا، حتى أصبح وكأنه جزيرة ضائعة في فضاء من الفراغ والقلق، كما رأيت رجالا باللبسة سوداء أنيقة بسياراتهم فهم غربيين وغامضين عن هذا المكان، لم تعجبني حركاتهم وقلت في خاطري: حوت يأكل حوت، الكبير يعيش، والصغير

¹ - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص 49.

² - البيت الأندلسي، ص ص 283، 415.

يموت، وكان "باسطا" يسأل أسئلة في داخله عجز عن الإجابة عنها: ماذا كانوا يريدون من وراء اقتحامهم البيت في غيابي، كلاب، قطط، حميرا خنازير، من هم يا ترى؟»⁽¹⁾. كما أصبحت مسألة البيت الشغل الشاغل "ليوسف النمى"، فاتجه إلى مركز الديوان العقاري، للاستفسار عن تاريخ البيت، فوجد نائب المدير "الشاوي" حيث قال للنمى: «أرجوك لا تضخم المسألة البيت الأندلسي، كغيره من قصور العاصمة التي تأكلت وحن الوقت لترميمها، وبناء بنايات حديثة، ولا أعتقد أن الترميم أصبح مفيدا لها فهي متهاكة إلى أقصى الحدود، وكل الفحوصات التي أجرتها البلدية والمصالح الولائية والديوان العقاري أجمعت على ضرورة إزالتها وترحيل سكانها، ثم رفع "يوسف النمى" رأسه نحو الكاميرات الصغيرة المثبتة في أعالي زوايا المكتب، ففهم أنها كعيون جهنمية تتربص بالأفعال الإرهابية لشلها، والتي تعرض ضدها، وأنها تتربص كل الحركات»⁽²⁾. وهذا يثبت لنا في مدى التخطيط المحكم والصارم، الذي تمارسه الحكومة بأجهزتها القهرية على المواطنين من أجل إضعاف عزيمتهم وقوتهم.

فالدولة إذن لا تخرج عن مفهوم «الإخضاع والسيطرة، وتحقيق المصلحة الخاصة ونفي مصلحة الآخر الضعيف والمهمش، فوسيلتها القوة والحيلة، وترهيب الآخر، أو هزيمته من أجل بقاء السلطة»⁽³⁾. فالدولة دائما تريد أن تظهر بمظهر قوي، فالبقاء للأقوى، والذريعة التي اتخذتها الدولة من أجل تهديم البيت الأندلسي هي تلك القصص الشعبية الخرافية أن البيت مسكون بجني يهودي جليا في هذا السياق الوارد في نص البيت الأندلسي: «وبسبب ذلك الجني اتخذت الدولة قرار بتدميره وطمره، وتعويضه ببنائة أجمل تخترقها المنتزهات والألعاب، والأسواق والمحلات الجميلة، ثم قيل بأن الحي في حاجة ماسة إلى برج

¹ - البيت الأندلسي، ص ص 118، 126.

² - المصدر نفسه، ص ص 229-230.

³ - الشريف جبيلة، الرواية والعنف، ص 165.

كبير، يستوعب حاجة سكان الحي، والشركات ورجال الأعمال»⁽¹⁾. وهذا يعني أن الدولة أنانية في قراراتها، واستغلالها للفرصة، لهدم البيت من أجل تحقيق مصالحها الخاصة، ونفي مصلحة الآخر وما زاد غرابة هو محاولة دار البلدية واللجنة الوطنية للآثار، في تحويل البيت الأندلسي إلى كوة من الرماد، لتجده كسبب لهدمه باعتبار أنه لا يصلح للترميم وبالتالي تحويله إلى مشاريع تمشي مع مصالحها الخاصة، وهذا ما تجلّى في هذا السياق من الرواية: «عندما تبكي وتصرخ "ماسيكا" لإقناع رجال المطافئ إثر نشوب حريق في البيت لجلبها أغراض ثمينة وذات أهمية والمتمثلة في "المخطوطة"، التي تثبت حق ملكية "مراد باسطا" في البيت الأندلسي، فهو من إرث أجداده، ومن جراء ذلك أصيبت "ماسيكا" بحروق في وجهها وأصابعها»⁽²⁾، وهذا لشيء جميل عندما نجد واحداً أمامنا يساندنا في كل شيء أو يفهم شعورنا ومعاناتنا، وهذا يضاهي المعروف الذي قدمته "ماسيكا" لـ"باسطا" صداقة وتقديراً له، ولأن في هذه الحياة نادراً ما نجد صديقاً حقيقياً، يقف إلى جانبنا في السراء والضراء.

لقد حاول وأصر "مراد باسطا" بإبقاء واستمرارية البيت وعدم تحويله إلى مشاريع أخرى ولكن مجهوداته باءت بالفشل، فلقد استدعى إثر ذلك، إلى دار البلدية وبالتحديد في القاعة البيضوية مع رئيس البلدية ومسؤول الإدارة الأمنية، للفصل في قضية البيت الأندلسي ولكن عندما دخل "سليم" إلى ذلك الاجتماع المنعقد، فزادت تكثيرات هؤلاء عندما رأوه فقال سليم: «بما أنّ الدولة عادلة، فعليها أن تفتح تحقيقاً حول الأيدي المجرمة التي فعلت ذلك، وأن التعزيز الأمني أثبت أنّ سبب الحريق هو الصّعة الكهربائية، ولكن الشهود يقسمون، أنّهم رأوا رجلاً يرمي شيئاً حارقاً، ثم انسحب بسرعة، وعندما علمت اللجنة أنّ الشاهد هو علي بومباتوميك" ضحكوا، باعتبار أنه شاب مهبول مكانه مستشفى الأمراض العقلية ووجوده يهدّد

¹ - البيت الأندلسي، ص 366.

² - المصدر نفسه، ص 366.

سكان الحي، وبعد بضعة أيام أحضروا الآلات لهدم البيت، التي تتآكل حديدتها القاسي والمسنن، وتخترق قداسة المكان»⁽¹⁾. وهذا كله أثر سلبي على "مراد باسطا" وكأن تلك الآلة تكسر جسده، فهذا الحزن والألم الذي يشعر به، سببه أنه لم يستطع حماية وصون ممتلكات أجداده، فيرى في ذلك هزيمة بالنسبة له، كما أن الأطفال أصيبوا بالذعر أثناء عملية الهدم فصاح الأطفال يصرخون هو لي... هو لي... فهو عندهم أشبه بفيلم مثير، وهو يختلف عن الفيلم العادي، وفي هذا الصدد (قامت (Seigel) بدراسة، وذلك من خلال عرض على الأطفال فيلم عنيف على التلفزة، فكان لهم ردود أفعال عدوانية، مليئة بالخوف والتوتر العصبي والاندهاش)⁽²⁾. ومع الوقت هذا المشهد العنيف يرسخ في ذهن الطفل فيمكن أن يمارسه في كبره.

من المستوى الرسمي العام الوارد في نص "فتاوى زمن الموت" لإبراهيم سعدي: «هو تشبيه قدور في مشيته، بمشية "بولحية" فهو قائد فرنسي، من فصيلة القبعات الخضر، ذات لحية داكنة، اعتاد أن يتفقد الحي، وهو يمشي في تبختر، وعنجهيته متقدما فصيلته التي كان أفرادها يسيرون خلفه الواحد وراء الآخر، وذات مرة توترت أعصابه، ففتح أزرار بنطاله وأخرج عضوه، ولوح به في اتجاه النساء، اللاتي كن يطلقن زغردات حادة ومحمومة من نوافذهن»⁽³⁾. وفي حقيقة الأمر أن تلك المشية، التي تحمل في طياتها الافتخار، فهي تعبير عن السلطة والقيادة والمكانة والشأن العظيم.

نظرا للشك الذي ألحق بالشرطة نتيجة لطيش "قدور" وأن اختفائه أدى إلى انتشار شائعات مختلفة وهذا ما أدى إلى استدعاء والده "الإمام" إلى مصالح الأمن ليقدم بشهادته فطرحوا عليه عدة أسئلة على هذا النحو: «في أي يوم عاد "قدور" إلى البيت؟ هل قام بتوديعكم بعد اختفائه؟ لماذا أجهشت باكيا ذات يوم، أثناء إلقاءك خطبة من خطب الجمعة هل احتفظ بعلاقاته السابقة

¹ - البيت الأندلسي، ص ص 430-431.

² - ينظر: أندريه جلوكسمان، عالم التلفزيون بين الجمال والعنف، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، بيروت، د ط، 2000، ص 55.

³ - فتاوى زمن الموت، ص 13.

مع عصابات السوء؟»⁽¹⁾. فأدرك "الإمام" بعد ذلك، أنّ ابنه "قدور" في خطر، وأنّ تلك الأسئلة خطيرة، تحيل إلى أنّ "قدور" أصبح ضمن العصابات الإرهابية، وهذا ما زاد القلق والتوتر نتيجة تحريض الناس من طرف "موسى" إلى ممارسة الدين إلى درجة من التصوف، فلقد اكتشفوا أنّه رئيس العصابة الإرهابية ولهذا قامت جماعة ملثمة تتكون من ثلاثة أشخاص، باقتحام بيته وهذا يظهر جليا في هذا السياق من نص "فتاوى زمن الموت" حيث قال "موح": «وقد حدث ذلك وأن سرقوه، وبعد مرور نصف سنة من الزمن أخرجوه من أحد المعتقلات الجنوبية، كما أصبح آنذاك أيضا عضوا نشطا في الجبهة الإسلامية، التي ترشح بعد ذلك في إحدى قوائمها أثناء الانتخابات التشريعية، وفاز بمقعد برلمان، لكن الانتخابات ألغيت وحزبه حل»⁽²⁾. إن سجن "موسى" في أحد السجون لا ربما اكتشفوا تلك الأعمال الخطيرة والدموية التي ألحقها خاصة بالأطفال الأبرياء، الذين ذهبوا ضحايا من جراء السلوكات أو الممارسات الإرهابية.

شهدت الجزائر مرحلة عنيفة في فترة التسعينيات أو ما يسمى بال عشرية السوداء فخلفت هذه الحقبة أرواحا كثيرة، نتيجة الجرائم التي ارتكبتها حركة التنظيم الإرهابي، في حق الشعب المظلوم، رغم أنّ أحاديث الرسول (ص) نذر لفضة العنف وحثّ على الرفق واللاعنف، فلقد ورد في صحيح مسلم أنّ رسول الله قال: «إنّ الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواد»⁽³⁾. وهذا ما أكدّه "الحجاج بن يوسف" وبطبيعة الحال كما تعلم، أنّ الله سبحانه وتعالى يستحب فقط الأشياء الخيرة والجيدة، والتي تعود بالمصلحة والفائدة، والراحة النفسية، والانشراح على الأفراد والجماعات. نظرا لكثرة العصابات الإرهابية في الحي، الذي يقيم فيه "موسى" وجماعته، فلقد نصح الملازم بدر الدين "موح" بالابتعاد عن الحي نظرا للخطر المحدق به، والذي قد يشكله أخوه "موسى" عليه، ولهذا قرر "موح" بمغادرة "بومرداس" والعيش بعيدا، عن هؤلاء الإرهاب

¹ - فتاوى زمن الموت، ص 19.

² - المصدر نفسه، ص 116-117.

³ - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص 36.

الذين لا يرحمون، ولكن "موح" لم يكن مطمئنا فقد انتابه بعض القلق والرعب في قوله: «لم يحدث أن زارني موسى، ولا أعطيته عنواني، ولكن فكرت أن شقيق زوجته المدعو صالح صويلح، ربما فتنش في أغراضي وأوراق، وعرف بمكان إقامتي»⁽¹⁾، ولكن رغم الاحتياطات والحرص الشديد، الذي كان "موح" يتخذه دائما، تقاديا بأن لا يفتي به أخيه "موسى" إلا أنه أصيب بطلقات من الرصاص، فأذته في الذراع والظهر، وأسفل الصدر.

عندما خرج "موح" من المستشفى، أراد أن يلتقي "بالملازم بدر الدين" لكي يخبره عن هوية هؤلاء الشبان الذين حاولوا قتله، وذلك كما هو جليا في هذا السياق الوارد في نص "فتاوى زمن الموت" فقال: «في المكتب رقم 7، وجدت رجلا مرتديا زيا مدنيا، ألقيت عليه التحية وأخبرته أنني أريد مقابلة الملازم بدر الدين، فصاح: الملازم غير موجود ماذا تحتاج، فأخبرته بقصتي كلها، وعندما انتهيت من كلامي، سألت الرجل إن كان بوسعي أن أرجع لرؤية الملازم فأخبرني أنه اغتيل»⁽²⁾. هذه العملية الإجرامية أيضا المتمثلة في قتل الملازم، من دون شك أنه من جراء العنف الإرهابي، ومن هنا يتضح لنا بأن محاولات الاغتيال للملازم، هي عملية قتل لشخصيات التي تشغل مناصب سياسية، أو جهاز الشرطة أو الإطاحة الفجائية والسريعة والعنيفة بالنخبة الحاكمة، واستبدالها بنخبة أخرى»⁽³⁾. وهذا يعني أن الإرهاب لا تقبل بتلك الأجهزة التي تكون ضده أو تحاربه.

المبحث الثاني: المستوى الخاص/ الفردي في البيت الأندلسي وفتاوى زمن الموت:

يقصد طلعت إبراهيم لطفي بالعنف الفردي: " هو ذلك النمط من العنف الذي يحدث بين الأشخاص في الحياة اليومية، مثل قيام شخص معين بقتل شخص آخر أثناء ثورة من الغضب"⁽⁴⁾، وهذا يعني أن الإنسان ميّال إلى العدوانية بطبعه، وخاصة

¹ - فتاوى زمن الموت، ص 123.

² - المصدر نفسه، ص 135-136.

³ - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص 54.

⁴ - المرجع نفسه، ص 58.

إذا كانت هناك تعقيدات أو سوء تفاهم بين شخص، وآخر يؤدي إلى ارتكاب مجازر وجرائم خطيرة جدا.

1- العنف على مستوى الخاص/ الفردي في البيت الأندلسي:

أ- العنف المؤسساتي:

قد لا يعجبنا شخص ما سواء من خلال كلامه أو حركاته، فنتولد في داخلنا ألفاظا أو نعوتا عنيفة، فنسندھا إلى ذلك الشخص وهذا ما تجلّى في رواية البيت الأندلسي حيث قال مراد باسطا عن كريمو (أمين عام للبلدية): "دارت عيناه الصفروان بشكل غريب مثل عيني كلب والسبب في نعت كريمو بالكلب يعود إلى أنّه لديه رغبة شديدة في هدم البيت، حيث صاح: البيت خربة وسيسقط اليوم أو غدا، خليني أقول لك أنك تتحدث عن شيء لم يعد موجودا في الحياة، ولكنه موجود فقط في قلبك ورأسك وأنا أتفهم هذا جيدا..."⁽¹⁾، إن فكرة التّخلي عن البيت لم يستطع أن يستوعبها باسطا، لأنّه كان متمسكا بوصاية جده الأول غاليليو الروخو" الذي قال: حافظوا على البيت ولا تتركوه حتّى وإن كنتم فيه عبيدا أو خدما فهو من لحكمكم ودمكم، ولكن الضّباع والطماعين فعلوا فعلتهم فقاموا بهدم البيت، فهذا انتهاك ومساس بحرمة الغير، وفي هذا الصدد " يؤكد سيد جاب الله السيد"، أنّ العنف بمعنى ينهك أو يتعدى، ومن الواضح أنّ الاشتقاق اللّغوي لمفهوم العنف في اللغة الإنجليزية والعربية ينصرف إلى معنى الانتهاك للقواعد أو يأخذ الأمور بالشدة والقسوة"⁽²⁾، فالعنف إذن من خصائصه كالرياح التي تهب بقوة شديدة، فتأخذ معها كل شيء تجده في طريقها، فهو أشبه بالسيل الجارف.

¹ - البيت الأندلسي، ص112.

² - المصدر نفسه، ص37.

إنّ التّحريات الصحفية التي يقوم بها " يوسف النمّس"، عن جرائم الضّباع والقتلة والسفاحين، بالإضافة إلى دفاعه وانشغاله بقضية البيت الأندلسي وحمايته من خطر الهدم والاستلاب، فهذا عادي لكرهه من طرف الآخرين، من ذلك المسؤولين سواء في دار البلدية أو معهد الديوان العقاري، فلقد تعرض للعنف الجسدي واللفظي مرات عديدة، وهذا ما ظهر جليا في نص الرواية تقول "سارة" في هذا الصدد «عندما رأى النمّس ركض هو صوبه بوجه أصفر قبل أن يندفن معه في المكتب يا خويا بزاف بهدلتنا يا صاحبي، كل الأنظار هنا في البلاد أصبحت مصوبة نحوي، بسبب فضائح العقار التي أثرتها، لقد مسست أناسا كبارا قماقم، ولا أعتقد أنّ هؤلاء يصمتون عليك»⁽¹⁾، يقوم المشهد هنا بتقديم نصائح وتحذير لشخص ما، حتّى لا يقع كفريسة في أنياب العدو، وفي نفس الوقت يحمل عنفا لفظيا إذن فالعنف سببه قد تكون لخلافات معينة وهذا يؤدي إلى إصدار مظاهر مختلفة من العنف منها كما ذكرها " محمود محمد مصري" كالتهديد الوعيد، الإذلال، الشتم، الإهانة عن طريق الألقاب والكلمات الشنيعة، التحقير والحرمان والإهمال⁽²⁾ إذن فالإنسان في حالة العدوان قد يرتكب سلوكات لا أخلاقية، بحيث تمس الذات الأخرى سواء من جانب مادي جسدي أو معنوي الذي يرتبط بالسبب والشتم.

إنّ حدوث جريمة في مكان ما، قد تكون وراءها دوافع ناجمة عن حالة لا إرادية ولا عقلية فاقتراف مثلا الفرد لجرم ما قد تكون بسبب السكر، وكما نعلم أنّ الخمر يذهب ويشل العقل فيجعله يقوم بتصرفات جنونية، متمثلة في القتل وغير ذلك، وهذا ما تجلّى في روايتنا هذه " حينما رغب ذلك العسكري" أن يقضي اللّيلة في غرفة

¹ - البيت الأندلسي، ص 227.

² - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص 58.

الأمراء، ولما اعترض المسير عن ذلك قام الشاب السكير، بإطلاق الرصاص على أجمل الراقصات، فماتت وبعد ذلك قام العساس والمسير بضرب الشاب العسكري بالإضافة إلى ذلك قام الضابط الكبير " وهو يغلي من شدة الغضب فصاح مخاطباً الشاب العسكري يا عطاي عندما تريد أن تسترجل افعل ذلك خارجاً عن هذا المكان، في المرة القادمة لن أتردد على قتلك كأبي جرو، وبعد ذلك أقيل الشاب العسكري من منصبه وأدخل إلى السجن بتهمة الاعتداء والجريمة"⁽¹⁾، ومن هذه الأحداث المتسمة بالتراجيديا أشبه بفيله درامي عنيف.

إنّ ظاهرة العنف لا تمارس فقط في واقع الحياة فعلاً، بل قد يتأثر بها الأفراد من خلال ما يعرض عبر وسائل مختلفة كالسينما أو التلفزيون، حيث يوصف بأنه سلوك لا قانوني أو لا أخلاقي، كما يتميز بالوحشية، وقد تكون ممارسة العنف من طرف الفرد في الواقع نتيجة تقمص شخصية معينة في فيلم ما، وهذا ما أكده بيركوفيتز " بحيث توصّل إلى أنّ الأفراد الغاضبين، فقط هم الذين كانوا أكثر احتمالاً للقيام بالعدوان، نتيجة مشاهدة فيلم عنيف وبالتالي يقوم شخص ما على ممارسة فعلاً عدوانياً على ذلك الفرد، الذي عمل على إحباطه"⁽²⁾، فمشاهدة هذه الأحداث في فيلم معين، كأنّه حقيقة ولكنّه من صنع الخيال.

نعلم أنّ من خصوصيات الرجل أنّه لا يقبل المساس بشرف وكرامة العائلة، فمن تجرأ على الإقدام على مثل هذا الفعل الشنيع ويتعدى على حرمة وشرفه، فيتحول إلى أشبه بالحيوان المفترس في حالة الغضب، وهذا ما نلاحظه في البيت الأندلسي عندما أمر "دالي مامي" أحد الإنكشاريين ألا وهو "قورصو" بأن يلمس "مارينا"، تحت ضحكته الخبيثة والسّاخرة ولكن زوجها نديم "صانع الرخام" لم يتحمّل تلك الإهانة، نزل من الطابق الأعلى

¹ - البيت الأندلسي، ص ص 338-339.

² - ينظر عالم التلفزيون بين الجمال والعنف، ص ص 17، 76.

امتلاّت عيناه بالدم من شدة الغضب، فأطلق النّار على قورصو، فأرادَه قتيلا، كما أصاب الرجل الثاني فتمرغ في مكانه، كما أن أحدهم أصاب نديم، ثم جرّه بكل قواه مجروحا في ساقه، واختطفوا ابنه كفرخ صغير⁽¹⁾ فهذا المشهد أشبه بفيلم أو بتمثيل، فكل واحد يلحق الأذى بالآخر، وفي هذا الصّدّد أكّد علماء النفس أن عرض فيلم، وخاصة فيلم درامي عنيف، يؤدي إلى إحداث تغيير في سرعة نبضات القلب والجهاز التنفسي، وفي نشاط الجهاز العصبي كما أنّ عنف الصّورة في اللّحظات الدرامية سرعان ما تزيد للمتلقّي حدّة التّوتر العصبي وبالتالي يجب على الفور عزل تلك العناصر الضّارة التي تهز المتفرج من الأعماق⁽²⁾ إذن فهذه العدائية والمشاجرة بين الأشخاص والمملوءة بالأحقاد وروح الانتقام، سرعان ما تتحول إلى مجزرة دموية يرثي لها، سواء حدث ذلك واقعا أو تمثيلا في فيلم ما، وما يزيد من حدّة التّوتر هو ذلك العنف الجسدي الذي يتمثل في القتل، لأنّ مشاهدة الدّم تولّد الرّعب وتصدّمنّا بشكل عنيف.

ب- العنف الشخصي:

قد يظهر هذا النوع من العنف من خلال روح شريرة، تمارس عمليّة الاغتصاب ضدّ شخص آخر، وهذا استغلال لبراءة وضعف الآخر وهذا ما نستشفه في روايتنا هذه، عندما قال مراد باسطا: " عندما رفعت رأسي قليلا صوب الأعلى رأيت الضوء ما يزال مشتغلا في غرفة "سارة"، لم أستطع أن أكتّم أنفاسي: بغل قبرصي أو ربّما ضيع ينهش غزالة، لا بدّ أن يكون شيء ما غامض إلى أقصى الحدود، قد قادها نحو هذا المكان"⁽³⁾ لقد أصبحت سارة هنا كالقحبة التي تمنح جسدها لذلك الانتهازي العنيف، الذي لا يعرف لا رحمة ولا شفقة وهكذا فالجسد الأنثوي دائما معرّض للشهوة والرغبة من طرف الآخر.

¹ - ينظر: البيت الأندلسي، ص ص 394-395.

² - ينظر: أندريه جلوكسمان، عالم التلفزيون بين الجمال والعنف، ص ص 55-56.

³ - البيت الأندلسي، ص 55

بما أنّ العقل هو الجوهر الأساس في الإنسان، وبالتالي يجب علينا الحفاظ عليه من الصدمات العنيفة والقوية، وإلا يؤدي بنا إلى الجنون، وبالتالي نقدم على ممارسة أفعال عنيفة، سواء ضد أشخاص آخرين، كما نمارس عنفا أيضا على أنفسنا، وهذا ما تجلّى في نص الرواية: " عندما أقدم الأخ الصغير لمراد باسطا على الانتحار، وذلك بفتح يديه بشكل صليبي في مواجهة البحر، وبقي مدة طويلة على تلك الحالة، مغمض العينين، والرياح البحرية تلعب بشعره، وتمسح غبار وجهه المتعب، ثم نزع ثيابه وصرخ بأعلى صوته أنا قادم نحوك يا جدّي، احضنني لست وحدك لن أتركك يقتلونك، فرأوه الصيادون إلّا ارتطام الجسد وهو يتمزّق على حافة الصخور⁽¹⁾، وهكذا إذن ذهاب أو فقدان العقل يؤدي بالبشر إلى ممارسة العنف، بأشكال مختلفة سواء ذبحا أو قتلا أو انتحارا وغير ذلك من الأساليب البشعة، إذن تعتبر هذه جريمة في حق النفس، فلقد أكد أحمد زايد وآخرون " أنّ الجريمة سلوك يخالف القانون وهي تلحق ضررا بالنفس والأشخاص، ويمكن التفريق بين الجريمة والعنف في اعتبار أنّ العنف أكثر اتساعا من الجريمة، حيث يشتمل على تلك التي لا يعاقب عليها القانون، بل إنّ بعضها قد يكون مرغوبا فيه اجتماعيا، عندما يكون منظما من خلال معايير المجتمع⁽²⁾. بتوسيع مفهوم العنف لنأخذ مظاهر كثيرة ترجع لأسباب منها: الحرمان الاجتماعي والأسري الذي يؤدي إلى اضطرابات نفسية وعقلية، وبالتالي الإصابة بالجنون، فهذه حالة يرثى لها. عندما جاء زمن مدام لوبيز " أو باربي السمينية، سميت بسرعة صاحبة البيت الجديدة للبيت الأندلسي، فأصبحت كأني مالك تعطي أوامرها في كل لحظة، حيث " سمعها مراد باسطا وهي تصرخ على العمال لإخراج العفش القديم من داخل البيت، وكذلك من شدة عنفها وغطرستها، قامت برمي البيانو إلى الحديقة، والأخطر من ذلك

¹ - البيت الأندلسي، ص 202.

² - ينظر: محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص ص 125-126.

كلما قام العمال بطلاء الجدران، سال على البيانو فقد خصوصياته، كما أنّ ذلك الطلاء شيئاً فشيئاً محى الألوان القديمة، التي تعطي للبيت أيضاً خصوصياته ومميزاته المعينة.

كما لم نعد نشم رائحة زمن مضى بقسوته ويلحظاته الجميلة، وعندما تقدم مدام لوبيز" على الكلام، لا تتوقف مثل الطاحونة، فهي تملك طاقة مشحونة بالغضب والعدوان، وكانت تنظر إلى باسطا نظرة طويلة كمن يكتشف كائناً خرافياً غريباً، فصاحت بعنف: اسمع يا واش اسمك حدك الحديقة سمعت؟ ما نحبش اللي يدخل انفه في حياتي"⁽¹⁾، وهكذا إذن فباربي السمينية تمارس الاستعباد والاستبداد على هؤلاء العمال المساكين، الذين يعملون طوال النهار تحت صرختها، تنفيذا لأوامرها، بالإضافة إلى احتقارها لباسطا واستصغرت من شأنه بحيث جعلته خادماً لديها وبلبي طلباتها حرفياً، ومن أسباب عنفها تعود إلى اضطرابات نفسية عنيفة، وهذا ما تؤكد "كوثر إبراهيم رزق أنّ الناس في حياتهم اليومية العادية يواجهون كثيراً من الإحباطات التي غالباً ما تقودهم إلى التورط في أعمال عدوانية، والتطهر هو الراحة أو التخلص من هذه الإحباطات"⁽²⁾، وهذا يعني أنّ هذه العدوانية وراءها أسباب ودوافع لم تخلق من فراغ، وخاصة نحن في زمن لا يرحم، فهذا عادي أن يكون الإنسان معقداً أو عدوانياً أو متعصباً أو عنيفاً، بسبب المشاكل المختلفة، كما اكتشف أيضاً مراد باسطا زوج مدام لوبيز" اسمه الفينكا وقد تجلّى في هذا السياق في قول مراد باسطا: عندما جاء زوجها الفينكا الرجل صاحب الوجه البارد والنّحيف لدرجة بروز عظام الفكين التحتيين فلم أرتح لوجهه قلبي يحدثني أنّ شيئاً خطيراً كان يرتسم في الأفق، وخاصة ضحكته المصطنعة بدت لي أثقل من الرصاص، بالإضافة إلى استفزاز وسخرية الفينكا من اسم باسطا، وقال هذه التسمية تدل على الملل من الحياة ألم يجذلك والدك تسمية أحلى، ثم دخل في هيسستيريا ضحكة استمرت طويلاً⁽³⁾، وهذا يعني أنّ شخصاً قد يمارس عنفاً على شخص

¹ - البيت الأندلسي، ص ص 349-350.

² - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية، نطاقات وتفاعلات، ص 101.

³ - ينظر: البيت الأندلسي، ص 354.

آخر، ويكون ذلك عن طريق السّخرية والإهانة، التي يلحقها به بحيث يلجأ إلى العبث والتّهكّم على الاسم أو اللّقب أو اللّباس أو الكلام، وخاصة في حالة التلعثم وغير ذلك من المظاهر المختلفة، بالإضافة إلى أنّ **الفينكا** يطلب من **باسطا** أن ينفذ أوامره حرفياً، بتغيير البيت رأساً على عقب وإعادةه إلى مجده الأول، وهذا قراره وأنّه المسؤول الوحيد عن البيت دون غيره، ويملك الأولوية عن زوجته، وهذا دليل أنّ الرجل هو صاحب القوة والسّلطة بدل المرأة، وهذا ما يؤكده **طلعت إبراهيم لطفي**¹، إذ يعدّ العنف وسيلة أساسية لفرض سلطة الرجل على المرأة، وهذا بهدف الإنقاص من مكانة المرأة في المجتمع، وجعلها في الحضيض والدونية⁽¹⁾، وهذا يعني أنّ العنف الفردي كذلك لا يقتصر على إيذاء شخص لشخص آخر بل يتعلّق كذلك على ممارسة شخص ما أو فرد ما عنفاً على ذاته، وهذا يؤدي به إلى تحطيم معنوياته وشخصيته، أو الإضراب عن الطعام أو الحزن والبكاء، وهذا يظهر جلياً في نص الرواية عندما قامت لالة **مارينا** بتعذيب نفسها، جرّاء موت والدها **غاليلىو الروخو** بعد أن فقدت حمايته لها، وفي هذا الصدد قالت ابنتها **سيلينا**: "وفاة جدي **غاليلىو** ترك في يما **مارينا** خدوشاً كبيرة، أدركت أُمّي أنّ الدّنيا كم كانت موحشة في غيابه، لأنّها مرتبطة ومتعلقة به إلى درجة قصوى، حتى والدي **نديم** المنشغل بالرخام كان شيئاً ثانوياً عندها وذات يوم غادرت **مارينا** البيت فاخترقت في ظروف غامضة، وكل الناس أجمعوا على أنّهم رأوها في الميناء، وبعد ذلك ركبت إحدى سفن الرهائن، عائدة إلى إسبانيا وفي الورقة التي كتبتها قبل أن ترحل تقول فيها: كنت أريد أن آخذ معي كتاب والدي، ولكنني خفت من أن يسرقه الماء مني والقتلة"⁽²⁾ وهذا السياق يبين مدى جسامة وخطورة الأذى، الذي ألحقته **مارينا** بنفسها وبعائلتها عندما غادرت البيت دون أن يعلم أحد إلى أين، وهذه الوضعية أبكت عائلتها لفقدانها، فهذا الحزن والبكاء والاختفاء المفاجئ لها، يعتبر في رأينا عنفاً قاسياً

¹ - ينظر: محمود سعيد الخولى، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص ص 108-109.

² - ينظر: البيت الأندلسي، ص ص 387-390.

مورس على الذات وكل ماله علاقة ومحبة بتلك الذات، يشعر بالإحباط والحزن بسبب فراقه ومع الوقت يصبح شخصا عصيبا وعنيفا. إذن ما من عنفا إلا ووراءه أسباب تؤدي إلى اضطرابات نفسية عنيفة وبالتالي تولّد عنفا.

2- العنف على مستوى الخاص/ الفردي في فتاوى زمن الموت:

-العنف الشخصي أو الخاص:

قد ينشأ عنف بين فرد وآخر، بسبب لفظه بسيطة فتنحول إلى معركة دامية وخطيرة لأنّ من سمات بعض الأفراد في المجتمع الجزائري الغضب ولأتفه الأسباب، وهذا ما نستشفه في رواية فتاوى زمن الموت، عندما قرّر قدور ليلقن درسا على عنتر لن ينساه في حياته والحدث يرجع أنّ عمار بائع الخردة وضع أبنائه تحت وصاية قدور، وذات يوم صاح أحد أولاد عمار في الحي يا عنتر الأعرج ثم يهرب، وذات يوم أمسك به عنتر فضربه وبعد ذلك اشتكى إيسو إلى قدور بأن عنتر ضربه، فذهبا هذين الآخرين إلى مكان معزول خال من الناس، وبعيد عن الأنظار فلقد جرى نزاع عنيف بينهما، تحت وقع اللّهاث وسيلان العرق وهو يمتزج بدمهما وقوامهما، وهي تخور شيئا فشيئا، فدام العراك ساعتين من الزمن وبالرغم أنّهما لا يقويان على الانتصاب على قدميهما إلا أنّهما يتبادلان اللّكم⁽¹⁾، إنّ عدم التنازل عن ذلك العراك كلّ من تلاعب الشيطان، الذي سيطر على العقل وسيّره نحو الأسوأ والخطر، وهي تلك المعركة الدّامية التي جرت بين الشخصين، وكما نعلم بأنّ العنف هو سلوك عدواني يلحق الأذى بالآخر، وهذا ما أكدته سميحة نصر " بأنّ العنف هو فعل يبالغ في السلوك العدائي أو العدوان، يترتب عليه إرسال مؤثرات مقلقة ومدمرة، تحدث أذى نفسيا أو فيزيقيا أو ماديا سواء على البشر أو الحيوان"⁽²⁾، ولذلك فالإنسان الغاضب لابدّ أن نبتعد عنه فترة من الزمن، حتّى يهدأ ويعود إلى عقله لنتفادى وقوع السوء.

¹ - ينظر: فتاوى زمن الموت، ص ص 13-15.

² - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص 42.

إنّ دخول الإنسان في مكان معزول وخال يشعر بالخوف والفرع الشديد، وقد تجلّى ذلك في هذا السياق من روايتنا هذه عندما ذهب **موح** إلى ذلك الماخور (المبنى)، يتكون من طابقين ويقع في مكان معزول وموحش يسكنه رجالا ونساء، وفجأة رأى **موح** صاحب اللوحة يتقدّم نحوه مبتسما بحماس وخبث، لم يكن مرتديا أي ثوب تحت سترته الزرقاء المفتوحة الأزرار، كما لو أنّه أراد أن يشاهد ذلك الشّكل المطبوع على جسمه، شكل ثعبان طويل منقّط من السرة إلى الرقبة، وشم رهيب حقا وقبل أن يفرغ قارورة جعة في جوفه سأل النّادل: كم هي حصيلتي يا سبع؟ فرد النّادل أنّه لا يوجد فائز، وكلّ واحد ضاجع نفس العدد من المرات، ولكن صاحب الوشم الرهيب أصرّ أن يقوم بدخلتين واحدة تلوى الأخرى⁽¹⁾ وهذا يوحي أنّ الرّسومات على الجسد مثل شكل الثعبان أو العقرب، وغير ذلك من الحيوانات الشرسة والموحشة، وهذا لدلالة أنّ صاحبها وحاملها يرمز للخطورة التي قد يلحقها بالآخر الضعيف، فالقد أكد **منصور مغاوري** العنف بأنّه "كل فعل مادي أو معنوي يتم بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ويستهدف إيقاع الأذى البدني أو النفسي بالفرد أو بالجماعة"⁽²⁾ وهذا يعني أنّ شخصا ما قد يمارس علينا عنف بطريقة غير مباشرة، أي ليس بدنيا أو لفظيا، وبالتالي قد يكون ذلك العنف غير المباشر، إما من خلال ملامح ووجهه التي توحي بالحقّد أو الكره أو من خلال كما قلنا سابقا بأشكال خطيرة ترسم على الجسم، قد تكون ثعبان أو غير ذلك من الأشكال المرعبة، فهذه الحالة تخلق اضطرابات نفسية، في بعض الأحيان مجرد أن تكون سمعة لشخص ما يتعالى على الآخرين، حتى وأنّه لا يخاطب أحد ولا يلقي التحية على أحد، وهذا ما نجده في رواية فتاوى زمن الموت "عندما قام الملاك **مبروك** باستفزاز وشم **مسعود**: " ما بالك تختال في مشيتك أنت باستمرار؟ من تحسب نفسك يا ترى؟ فأجابه **مسعود** بأنّه لا يختال في مشيته، فالتفت **مبروك** نحو **عنتر** وكانت نظرتة حادة كالسكين

¹ - فتاوى زمن الموت، ص ص 40-46.

² - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص 43.

فطلب منه أن يغلق فمه، وأن المسألة لا تعنيه والأكثر من ذلك لا يزال يحملق في مسعود فطلب منه إجراء عراك صغير معه⁽¹⁾، إنَّ عنف وقساوة الملاك مبروك مع النَّاس ربّما يرجع لتلك الظروف التي أثّرت عليه سلبا في حياته ونفسيته، نتيجة قضاء طفولته في ديار الصفيح، فهذه الأماكن توحى للقدارة والتهميش والبؤس، كما ولدت هذه الوضعية فيه الإدمان على الخمر نتيجة فشله في الملائكة، فأصيب بإحباط شديد على الرغم من أنه في طفولته يحلم دائما أن يصبح ملاكاً مشهوراً، وفي هذا الصدد أكد علماء النفس أنَّ الخبرات المؤلمة التي يتعرض لها الإنسان في طفولته، بالإضافة إلى الحرمان من الشروط الملائمة للعيش لتحقيق الطموحات والرغبات، هذا يؤدي إلى تنمية العوامل المهيأة للانحرافات⁽²⁾، فكل واحد منّا لديه صراعات داخلية تراودنا دائما في كبرنا، نتيجة ذلك الكبت الذي حدث في طفولتنا الذي أثّر فينا كثيرا وبشكل سلبي.

قد يكون العنف الفردي بالانتحار أو قتل النفس بأبشع الطرق، وهذا ما تجلّى في نص الرواية "عندما قام ياسين الحزين بالانتحار نتيجة تفاقم تلك المشاكل العائلية، كشجار أخوه إبراهيم مع والده، وإشاعة النَّاس بأنَّ أخته عاهرة، ففي تلك الفترة أصبح "ياسين" يتعاطى الخمر وتدخين الحشيش، وقد عثر عليه ميتا في غرفة ضيقة بأحد الفنادق الحقيرة، وكان رأسه ملقى على طاولة صغيرة وجد عليها علبة فارغة من الأقراص المنومة، وبعد ذلك شيع مثواه أربعة أشخاص"⁽³⁾، فما أبشع موت ياسين لوحده وبهذه الطريقة البشعة، نتيجة امتلاكه لسلطة الجسد فيمارس عليه ما يشاء، وذلك عندما يقرر إنهاء حياته بمعاقبة جسده من خلال عمليات الانتحار، التي هي ظاهرة تنوعت أسبابها، ولهذا يؤكد "إميل دوركايم" أنَّ "الانتحار هو كل حالة الموت الناجمة بصورة مباشرة أو غير مباشرة، عن فعل إيجابي أو سلبي تنفذه الضحية ذاتها، حيث أنَّ الانتحار هو الفعل المحدد على النحو ولكنه المقرر قبل أن يصبح

¹ - فتاوى زمن الموت، ص ص 49-50.

² - ينظر: محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص 155.

³ - فتاوى زمن الموت، ص 98.

الموت عاقبة له⁽¹⁾ وهذا يعني أنّ بعض الأشخاص يدخلون أجسادهم في مراحل مختلفة ومتنوعة من العذاب الجسدي، رغبة منهم لتخلص من هذه الحياة المرة والقاسية، وقد تكون عمليات الانتحار إما بتناول الأقراص المنومة، أو يحرقون أجسادهم ويوقونها في حالة الألم المتواصل لعدة أيام.

3-المستوى الديني/ الأصولي في نصي البيت الأندلسي وفتاوي زمن الموت:

أ-موقف الكنيسة من الموريسكيين في البيت الأندلسي:

لقد مورست محاكم التفتيش المقدس جرم كبير في حق الموريسكيين الإسلاميين، بحيث هجرتهم إلى المنفى من أجل تعذيبهم، وهذا يعود إلى شكهم في عدم صحة ومصداقية دينهم ومن الذين هجّروا نجد "غاليليو الروخو الموريسكي حيث قال كما هو وارد في نص البيت الأندلسي:

"مازلت تحت سطوة كنيسة الموت التي عدّبت فيها ولهذا، أستعير لغة الخيميادو مضطرا فهي لغتنا السرية التي أنقذت كتبنا وأرواحنا من تلف أكيد" من يدري؟ وهران التي ملأتها أيضا محاكم التفتيش ليست بعيدة، ولا أبغي من وراء ذلك إلا التّستّر من خوف مزمن، ما زلت أحمله في داخلي ولم أتملص منه ما زلت على شبه يقين بالانقلابات التي يمكن أن تحدث في أيّة لحظة الآفاق ليست سعيدة أبدا الخيبات والانتكاسات، تتخفى بين أسطر كتاباتنا ورسائلنا وتاريخنا⁽²⁾، وهذا يدل على أنّ غاليليو الروخو كان عرضة للملوك الإسبان الكاثوليك، والهدف من وراء ذلك الرغبة في إدخاله في الدين المسيحي ومحو الدين الإسلامي، وبهذا أكد في هذا الصدد "عبد الحميد أبو سليمان" أنّ قضية العنف والصراعات الدّامية في حياة المجتمعات الإنسانية، التي كثيرا ما تفرق في الذهن بأحداث دامية التي

¹ - مازن مرسل محمد: حفريات في الجسد المقموع، مقارنة سوسيونصية ثقافية، ص154.

² - البيت الأندلسي، ص66.

عرفتها الأمة الإسلامية، باقتتالها بين الكثير من الطوائف والفئات⁽¹⁾ نقول لقد ذاق المسلمون مرارة الحروب والفتن في الأندلس عندما حاولوا نشر الدين الإسلامي.

لقد تلقى "غاليليو الروخو" أشد أنواع التعذيب، وكان مقيداً ومكبلاً برفقة الراهب ميغيل الطيب الذي يواسيه بنظراته وخطواته الثقيلة، والتي تعطي لغاليليو قليلاً من الراحة النفسية ومن حين لآخر، كان غاليليو يتكأ على ظهر ذلك الراهب فقال له، "يا بني لا تلمس كتفي برأسك الثقيل وبيدك الملوثة بدم القتال، إن جسدي طاهر ومقدس فردّ له "غاليليو" يا سيدي لا يليق بيدي أن تتبجس بلمس ردائك وجسدك الننتين، أكفكم ملطخة بدم الأبرياء هز رأسه راسماً ابتسامة صفراء وهو يتمتم بالكاد كنت أفهم كلامه: سنرى... إذا كنت ستتحمل لمسات التطهر التي ستغسلك من أدرانك، فدخل "غاليليو" إلى غرف التعذيب وتمزيق الأجسام البشرية، يقول تعثرت وأنا أسير مقيداً بالسلاسل الثقيلة وسمعت لكثير من السجناء، وهم يئنون⁽²⁾، إذن كل هذه المظاهر الإجرامية التي مورست في حق الأبرياء، خلقت أو نشرت الرعب والخوف في نفسية "غاليليو" وجعلت منه شخصية مريضة وغير سوية، ونحن لا نشك أنه نجا من تلك الصدمة، لما شاهد مختلف أنواع التعذيب وخاصة تلك المشاهد الدّموية التي أزعجته، لما دخل إلى المنفى والله يكون معه، فتلك الصور العنيفة تراوده دائماً طوال حياته سواء في الواقع أو في المنام.

من الشخصيات التي أدهت "غاليليو الروخو" رئيس ديوان التفتيش "أليخندرو الأراغوني" كان يجلس على المصطبة عرفته بجبروته وهيبته، فهو حاقد والأكثر سواد وعلى جانبيه يوجد القضاة المتخصصون الذين لا تكاد ترى وجوههم بسبب القلمونة، التي تغطيها وهذه الجلسة متمثلة كما جاءت في روايتنا هذه، عندما قال "غاليليو" سألوني أسئلة كثيرة بعضها أسمعها والبعض الآخر لم تدخل إلى أذني، ورموا عليّ الماء البارد عندما بدأت

¹ - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية، نطاقيات وتفاعلات، ص 17.

² - ينظر: البيت الأندلسي، ص ص 72-73.

أغيب عن الوعي، هذا جرى في الجلسة الأولى أمّا الجلسة الثانية أجبت من دون أي مقاومة، أنا مرتد مسيحي وأقوم بكل طقوسي لم أحمل السلاح يوما ضد ملوك الكاثوليك ولكنني حملته ضد اغتصاب أختي لالة ثورا في حي البيازين، كما شكوا أيضا في عدم مسيحية **غاليليو** ولكنّه نجا بفضل ترديده لتلك الصلوات المسيحية، التي كان يتقنها كما شهد الكاهن **أنجيلو ألونصو** "خطأ بأنه يراه في الكنيسة كلّ يوم، من أجل إنقاذه من موت وبطش الكنيسة⁽¹⁾ وكلّ هذه المعاملة القاسية على هذه الشخصية المؤمنة، رغبة محاكم التفتيش المقدس في تمسيح الكلّ، والقضاء على الدين الإسلامي لأثّه مدّنس وغير مقدّس، ولهذا يحدّد " إدوارد دوركهائم" قدسية المقدس" بما يعارضها بشكل كامل من مجال المدنس فالمقدس لا يلتقي بالمدّنس ويلامسه، إلّا لكي ينتفي أحدهما ويظل الآخر قائما وبذلك يتشكل كل طرف، بوصفه نظاما خالصا ومتجانسا ومتعارضا للطرف الآخر⁽²⁾ وهذا حقيقة فهناك فرق شاسع بين الديانة الإسلامية والديانة المسيحية سواء من حيث المعاملات والصلوات والصّوم والطقوس وغيرها بالتالي تتشكل لدينا ثقافتين متعارضتين.

لقد واجه المسلمون أو الموريسكيون ظروف صعبة، من جزاء تلك القوانين القاسية والصارمة التي تفرضها رجال الكنيسة والبابا عليهم ومنها على سبيل المثال هذا السياق الذي تجلّى في نص الرواية عندما أصدر "الملك فرديناند" وزوجته "الملكة إيزابيلا" مرسوما ملكيا، ينصّ على ضرورة تصوير المسلمين فحاول بعض مسلمي غرناطة الاحتجاج بينود اتفاقية التسليم، وعندما قرّروا المقاومة والتّصدي لهذا المشروع، سحق المعارضون في حي البيازين تحت سنانك الخيول وتحولّ الحي إلى ساحة للموت، كما قام زبانيه "الكاردينال خمينيث" **مطران طليطلة** ورأس الكنيسة الإسبانية بالقبض على المسلمين، لمجرّد الشبهة وحشدهم في ساحة غرناطة وإعدام مائتين من علماء المسلمين حرقا، أمام الجميع وأحرقت

¹ - ينظر: نور الدين الزاهي، المقدس والمجتمع، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2011، ص33.

² - ينظر: البيت الاندلسي، ص ص 78-79.

كتبهم ومصاحفهم وأغلقت مساجدهم أو حولت إلى كنائس، وأجبروهم على تغيير أسمائهم العربية إلى أسماء نصرانية، منعوهم من إقامة الحفلات على الطريقة الإسلامية⁽¹⁾ وهذا يبين مدى فضاة الأساليب المطبقة ضد المسلمين، ألا وهي حرمانهم من الممارسات الدينية الإسلامية بل القيام لها بالبديل إجبارياً، التي تتمثل في كل من مظاهر وأشكال الدين المسيحي باعتباره دينهم يجب أن يتبع ومن يخالف ذلك يموت على يد محاكم التفتيش المقدس، فهذه اللفظة الأخيرة (المقدس) حسب "ر. جيرار" لا تختلف عن العنف فهما شيء واحد، ولكنه يضيف أنّ المقدس يتضمن شيئاً آخر غير العنف، بوجود شيء نقيض للعنف مثل : النظام والفوضى الحرب والسلم⁽²⁾ ولهذا نقول إنّ المقدس هو العنف وإذا ما كان الديني يعشق العنف، فدائماً بوصفه يحمل فيما بعد السلم فالديني موجه كلية نحو السلم.

من المواقف الأخرى التي اتخذتها محاكم التفتيش المقدس ضد المسلمين، نذكر هذه السياسة القمعية والصارمة وهذا ما نتلمسه في نص الرواية متمثلاً، في تعذيب المسلمين بربط أطراف المتهم في إطار مثلث الشكل، اقتحام منازلهم لتفتيش عن المصحف واستجواب القصر، لمعرفة إذا ما كان الأب أو الأم يصليان أو يقرآن القرآن ووضع تماثيل للأموات والعمل على تنفيذها عقوبة الحرق⁽³⁾ وهذا يوضح حجم الظلم والقسوة التي ألحقت بهذه الفئة المستضعفة جزاء تلك القوانين المجحفة والطقوس المختلفة، كبناء تماثيل أو التعذيب على شكل صليب وحرق الأموات، في حين أنّ مبادئ وقواعد الدين الإسلامي تتعارض مع كل هذا، فإذا كان المسيحي يؤدي صلواته في الكنيسة، فإنّ المسلم على عكس ذلك فإنّه يصلي في المسجد ويؤمن بالبعد التوحيدي للرسالة الإسلامية، فأحادية ووحداية الله داخل سياق التعالي الديني يقابلها واحديه الإمام في المجال الديني، ومثلما لا يمكن للكون أن يساير بالإلهين أو أكثر، فإنّ الأمة لا يمكن أن تساير بإمامين أو خليفتين وإلاّ حصل الفساد

¹ - ينظر: البيت الأندلسي، ص ص 78-79.

² - نور الدين الزاهي، المقدس والمجتمع، ص 47.

³ - ينظر: البيت الأندلسي، ص ص 80-81.

وضاع الكون⁽¹⁾ وهذا يوضح أن لكل دين له طقوس وممارسات معينة، وهذا يؤدي مثلاً إلى اختلاف طقوس الزواج والصوم والصلاة، بين الدين الإسلامي والدين المسيحي فكل يمارس أفعاله حسب ما ينص عليه دينه.

ب- تعامل الأصوليين مع المواطن في فتاوى زمن الموت:

شهد المجتمع الجزائري في فترة التسعينيات/ العشرية السوداء، أحداثاً دامية متمثلة في قطع الرؤوس الاغتيالات الجماعية اغتصاب الفتيات قتل المثقفين حرق الممتلكات الخاصة والعامة، فلقد استطاعت الروايات في العشرية السوداء أن تنقل لنا تلك الوقائع المشحونة بالآلام أو المآسي، التي يرتكبها الإرهابي الإسلامي أو الأصولي في حق المواطن الجزائري⁽²⁾ فهذه الممارسات الإرهابية العنيفة سلبت أو جرّدت البلاد والمواطنين من الأشياء الجميلة، ووزّعت الموت هنا وهناك فهذا مثير للرعب والقلق، من الشخصيات التي أثارت انتباه الجميع بسبب ما طرأ عليها من تغير خارجي شخصية قدور، وهذا ما تجلّى في رواية فتاوى زمن الموت" قال السارد " سنة بعد ذلك، تحوّل قدور إلى إنسان آخر، يرتدي جبة بيضاء ويضع على رأسه شاشية من نفس اللون، ويذهب إلى الجامع لإقامة الصلاة ويمشي خافضاً رأسه إلى الأرض ويلقي السلام على الناس، كما تقدّم باعتذارات لكل سكان الحي الذين حدثت معهم مشاكل فيهم، عنتر وقد ترك لحبته تنمو إلى نهايتها"⁽³⁾، إذن فهذا التحوّل الجذري والمفاجئ لقدور فهو في الحقيقة للدلالة على صفات الإرهابي، من الجانب الفيزيولوجي أما من الجانب النفسي والباطني، يلجأ إلى ممارسة العنف من قتل وذبح وتعذيب وترهيب وتدمير.

¹ - ينظر: نور الدين الزاهي، المقدس والمجتمع، ص142.

² - ينظر: سامية داودي، صوت المرأة في روايات إبراهيم سعدي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، السنة الجامعية 2011-2012، ص 5-104.

³ - فتاوى زمن الموت، ص16.

هناك من الناس الذين لهم قدرة على التنبؤ بالغيب، ولذلك يخاف الناس من دعواته ولعناته، وهذا ما نجده في نص روايتنا هذه عندما ألقى "شيخ عبود" خطبته، إثر اجتماع المشيعون حوله في أحد الجنائز وهو يقول لا تكون على أمواتكم بل على أنفسكم، والرب الذي لم تعبده أو تهابوه صار يمقتكم وينبذكم ويلعنكم، وفي ذلك الزمان ستتركون بناتكم يتاجرون بأجسامهنّ، أرى زلزالا يدمركم وحكاما تعبدونهم يسوقونكم كالعبيد، أرى أصحاب النّاي والمزمار بلا أيدي والشعراء بلا ألسنة والنساء بلا حياء والرجال بلا رجولة، في ذلك الزمان تسيرون بالآلاف وراء سيدكم إبليس ذي القرنين والذيل الطويل والعين اللثيمة، سوف يقتلكم الجوع أرى لحي مقطوعة ثم تحرق وتشتعل فيها نار كنار جهنم⁽¹⁾ وهذا يوضح مدى عنف التنبؤ عند شيخ عبود من جهة، ومن جهة أخرى أن مظهره يثير الرعب في نفوس المواطنين، لحية طويلة وشعر نازل إلى الكتفين كشعر نساء يرتدي حبة بيضاء دائما، ولم يستطع أحد أن يعرف إن كان مجنونا أو حكيما، كما أنّ سكناه ظلّت مجهولة كما أننا أينما ذهبنا وجدنا العنف، وهذا ما أكدّه خالص جلبي " فالعنف أمر مصاحب للمجتمعات الإنسانية منذ نشأتها"⁽²⁾، وهذا يعني ما من أمة إلاّ ولحقها العنف سواء في الجانب السياسي أو الاجتماعي أو الديني وغيره.

إنّ رحيل مريم عن الحي جعلت الشاب الذي أحبها مجنونا لم يكف عن التردد والذهاب إلى ذلك الحي الذي تسكن فيه مريم فجأة طرأت موجة من التغير على هؤلاء الشبان وتجلّى ذلك في هذا السياق من روايتنا: "فقد أصبح الشبان يحترمون الدّين، فصاروا يؤدون الصلاة ويصومون رمضان ويقضون أوقاتهم في الجامع، وتخلوا عن السراويل وراحوا يرتدون الجبات البيضاء الطويلة، ويضعون الشاشيات على رؤوسهم ويتركون لحيتهم، ولم تسمعهم يتحدثون عن البنات بل حديثهم عن القرآن والأحاديث النبوية، ويقومون بأعراس بلا زغاريد ولا رقص

¹ - ينظر: فتاوى زمن الموت، ص ص20-21.

² - محمود سعيد الخولي، العنف مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص17.

أو دون إبراز دم البكارة أمام النَّاس، أمّا الإناث تخليّن عن ارتداء الملابس الخفيفة المثيرة لانتباه الذكور، وصرن يلبسن ثياباً متقشفة طويلة واسعة، كما أفلعن عن مصافحة الذكور⁽¹⁾ هذا من علامات التشدد بالدين أو التمسك بالأصل بشكل صارم، وترسيخ بما جاءت به الرسالة الدينية، فكل من يخرج عن هذه المبادئ يضطر الأصوليون، أو تلك الجماعة المتصوّفة الإرهابية إلى ممارسة العنف بمختلف أشكاله على المواطنين، ولذلك لا بد من أخصائي بتوعية أعضاء الجماعات، بخطورة السلوك الإرهابي على المجتمع والأفراد لأنّ من أعمالهم البشعة كما جاءت في هذا السياق الثاني " الاعتداء على الممتلكات العامة والخاصة، تحريض القصر للهروب من المدرسة الاعتداء على الكنائس وقتل بعض المسيحيين، الاعتداء على السياح القادمين من الخارج"⁽²⁾ ولذا نقول تعدّ ظاهرة الإرهاب وليدة التطرّف الديني، وهدفه القيام بسلوك إجرامي وإثارة الرعب في النفوس.

هناك أشخاص يتحوّلون في حياتهم، من سلوك يقوم على الطيش إلى حالة تعقل وحكمة، وكل هذا حصل بفضل التّوجه والدّخول في الدين والتمسك بالقرآن والسنة، وهذا ما ظهر جلياً في نص روايتنا " عندما قام زربوط بحث موح" بالقيام بالوضوء وأداء الصلاة، كما طلب زربوط أيضاً من عنتر أن يكسر الآلة (القيتارة) التي كان يعزف عليها، لأنّ في رأيه تلك الترانيم التي يردّها هي ترانيم إبليس"⁽³⁾ إن هذا التوجه الجديد لزربوط فبعدما أن كان شخصية فكاكية وساخرة تحوّل في الأخير إلى شخصية دموية خطيرة، بالرغم من تمسكه بالقرآن فأصبح يمارس السلوك العدواني من قتل وذبح على المواطنين الأبرياء والمساكين وكلّ هذه الجرائم تعبّر عن المظاهر الإرهابية، ولذلك يؤكد "عبد اللطيف العقدة" أنّ كلمة الإرهاب هو الاعتداء أو التهديد بالاعتداء على الأرواح والأموال أو الممتلكات العامة أو

¹ - فتاوى زمن الموت، ص ص 32-33.

² - جابر عوض سيد وأبو الحسن عبد الموجود، الانحراف والجريمة في عالم متغير، المكتبة الجامعية الحدي سلسلة كتب مجالات الخدمة الاجتماعية الكتاب الثاني، دط، 2004، ص 213.

³ - فتاوى زمن الموت، ص ص 34-37.

الخاصة، بشكل منظم من قبل دولة أو مجموعة ما ضد المحلي أو الدولي، باستخدام وسيلة من شأنها نشر الرعب في النفوس لتحقيق هدف معين، وهذا التهديد يتم بواسطة جماعة سياسية أو عقائدية تجاه جماعة أخرى أو دولة أخرى⁽¹⁾ إذن لفظة إرهاب تساوي التهريب التخويف التهديد القتل الدمار وكل ماله صلة بالعنف والفتنة.

يتّصف الإنسان العنيف، بصفات وسلوكات عنيفة منها على سبيل المثال: كراهية الآخرين وممارسة القسوة معهم، وهذا ما نستشفه في روايتنا هذه، عندما تحدث **موح** عن أخيه **موسى** قال: الأمر الذي فاجأني أنّ **موسى**، لم يهتم بالحب البشري في يوم من الأيام كما لو أنّ الجنس اللطيف لا وجود له بالنسبة إليه، لقد كان **موسى** شديد التدين دائماً، وربما من سن الرضاعة [...]. كما يظن **موح** في قرارة نفسه، أنّ كتابة **موسى** للشعر، ظناً أنه عاشقاً ولديه محبوبة، ومع الأيام اكتشف **موح**، أنّ أخاه **موسى** في الحقيقة لا يملك حبيبة وأن الشعر الذي يكتبه كونه متصوفاً وذاب في الحب الإلهي، إذن فهذا التغزل تغزل بالله وليس بالمرأة، كما نسج **موسى** في تلك الأيام علاقات مع جماعة الدعوة والتبليغ النشطة آنذاك في الحي، وهؤلاء الدعاة يركزون على الجانب الديني البحت، وكانوا يتصلون بالناس في انفراد داعين إياهم بإقامة الصلوة والصوم [...]. ففي تلك الأيام نادراً ما تجد في الحي وجهاً بلا لحية أو جسماً بلا جبة بيضاء⁽²⁾ وهذا يعني أن الصراع بين هذه الطوائف والجماعات، سببه هو اختلاف الناس وعدم اجتماع قلوبهم مما ولد عنفاً فيما بينهم وهذا ما يؤكد **أحمد جلال عز الدين** في كتابه الإرهاب والعنف السياسي " فالعنف: هو الاستخدام

¹ - حمّاشي حسين، السلوك العدواني وعلاقته بالتوافق الاجتماعي لدى طلبة الجامعة- دراسة ميدانية، مذكرة الماجستير في تخصص علم النفس الاجتماعي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012-2013، ص 62.

² - ينظر: فتاوي زمن الموت، ص ص 71، 73-74.

الإنساني للقوة بغرض إرغام الغير وإخافته وإرهابه وتدميره⁽¹⁾ وهذا يوحي إلى ممارسة سلوك عدواني غير مشروع خارج عن نطاق القانون.

هناك أشخاص لا يثقون بوجود الله، وهؤلاء لا بدّ لهم من حجج وتفسيرات من أجل إقناعهم، وهذا ما نجده في نص الرواية: عندما شك مسعود في مصداقية عدم وجود الله فهذا أدّى لموح أن يقدمه لأخيه موسى الملتحي، ليتحاور معه لعله يقتنع بوجود الله، ولكن بعد مرور سنة كانت النتيجة سيئة حيث أفتى موسى إلى تكفير مسعود، وإشاعة هذا الخبر بين الملتحين، فأصبح منبوذاً في الحي، لا أحد يكلمه إلى درجة أنّ "زربوط" رفض مصافحته، كما حذر موسى أخوه موح من مصافحة مسعود لأنه كافر وزنديق، وعليه أن يختار إما الله أو الشيطان⁽²⁾، إنّ عدم إيمان مسعود بوجود الله خلق في نفس موسى عنفاً وغضباً شديداً فهذا ما جعله يحرض أخاه موح بأن يبتعد عنه، وإلا سيسير على خطاه الكافرة فهذا لا يعجب موسى، فهذا إذن نموذجاً لتلك الصراعات التاريخية البشرية، ولهذا يؤكد محمد خضر عبد المختار " بأن العنف قديم قدم الوجود، وجد منذ بداية التاريخ ومنذ أول حدث للصراع بين البشر في الخلاف بين "قابيل وهابيل"، وشهدت البشرية أحداثاً كثيرة تميزت بالعنف فالتاريخ ليس أكثر من سجل لجرائم، بنى البشر حماقاتهم ومصائبهم ووافق فولتير كذلك، على أنّ التاريخ ليس أكثر من صورة للجرائم والمحن الإنسانية"⁽³⁾، وهذه الحقائق والمشاهد الدامية التي مرت بها الإنسانية، فهي بمثابة مرجع تعود إليه الأجيال اللاحقة لمعرفة مدى قساوة المعاناة التي ألحقت بها.

بعد أن فشل زربوط وموسى في إقناع مسعود وموح بالسير على خطاهم، هذا ولّد فيهما روح التحريض من أجل ابتعاد موح عن مصاحبة مسعود أولاً، وكذلك حاول إقناع عنتر بترك موح ومسعود ثانياً، وهذا ما تجلّى في روايتنا هذه، عندما قال موسى لموح، لقد

¹ - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية، نطاقات وتفاعلات، ص 37.

² - ينظر: فتاوى زمن الموت، ص 76-77.

³ - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص 15.

بلّغني أنك صديق حميم لمخلوق، أظنّ سوف يسيء إلى علاقتك بالله، فقال **موح**: اسمح يا شيخ **موسى** إنّ **مسعود** أعرفه جيدا لا يكذب ولا يخون، ثم التفت **موسى** إلى **عنتر** فصاح: لقد خان الله يا **عنتر** هل هناك أشد من الكذب على الله؟ فقال **موسى**: أنا أنصحك يا **عنتر** إذا كنت تريد أن تبعد عن الشيطان، فلا تقترب من **مسعود** ولا من أخي **موح**، فهو كذلك من الضالين⁽¹⁾ يبين هذا الملفوظ أنّ **موسى** وجماعته يرغبون في نشر دعوتهم، المتمثلة في جعل المواطنين يدخلون إلى السياسة الإرهابية، وإجبارهم على الالتزام بقوانينها التعسفية والجائرة كممارسة القتل والاغتصاب والشنق وغيرها من المظاهر المختلفة للعنف، وفي هذا الصدد ذكر قاموس ويبستر سنة 1979 (Webster) " عدة معاني للعنف تتراوح ما بين المعنى الدقيق نسبيا، القوة الجسدية التي تستخدم للإيذاء أو للإضرار، إلى المعنى المجازي الواضح عمل طاقة أو قوة طبيعية أو جسدية، إلى المعنى الشديد الغموض استخدام غير عادل للقوة أو السلطة، كما في الحرمان من الحقوق"⁽²⁾ وهذا يعني كلّ من يمارس العنف والقوة فهو شخص غير سوي، لأنه خارج عن إطار العدالة والقانون الذي ينبغي أن يخضع له الجميع، من الشخصيات الأخرى التي لا يحبها **موسى** نجد أيضا شخصية "خوخة" بحيث يعتبرها عاهرة، خرجت عن الطريق الصحيح ولذلك حاول أن يبتعد عنها أخوه "موح" وهذا ما تجلّى في هذا السياق من روايتنا هذه قال **موسى**: " عمل تلك الفاسقة من الكبائر فهي لم تزن فقط بل تزوّجت من نصراني، لو كانت تقام حدود الله في هذا البلد ما حدث هذا العار فقال له **موح**: اسمع يا **موسى** أنت لازلت مريضا وأنا لا أريد إزعاجك، فصاح **موسى** لا يا **موح** أنت المريض فالمريض من عصا الله، واتبع الشيطان كل الناس تابوا إلى الله، إلّا أنت لازلت تعبد إبليس"⁽³⁾ وهذا يعني في رأينا أنّ شخصية **موح** شخصية خيرة ومتفهمة، كما تتصف بالروح الإنسانية، لأنّه يساعد كل شخص يحتاج إلى المساعدة، والوقوف معهم في

¹ - ينظر: فتاوى زمن الموت، ص ص 82-83.

² - جابر عوض سيد، وأبو الحسن عبد الموجود، الانحراف والجريمة في عالم متغير، ص 239.

³ - فتاوى زمن الموت، ص ص 109-110.

معالجة مشاكلهم سواء مع مسعود أو خوخة، أو ياسين الحزين فيعتبر بطل هذه القصة من الجرائم الأخرى التي ارتكبتها الجماعة الإرهابية المسلحة، نذكر كما تجلت في نص الرواية: أن مسعود قتل من طرف عنتر فلقد ذبحه أمام والدته في بيته، والشيخ عبود قتل من طرف ثلاثة شبان، من بينهم جحا (ابن عمار بائع الخردة) وانفجار قنبلة التي أدت بتراكم الجثث هنا وهناك⁽¹⁾ إذن فموقف هؤلاء الأصوليون اتجاه المواطنين سلبي ومؤذي بحيث سببوا القلق النفسي خاصة لموح، حيث يشاهد في منامه أنه ذبح عدة مرات من طرف الإرهاب، بما في ذلك أخوه موسى ولكن للأسف لقد حدث ما حدث في الواقع، أن موح أصيب برصاصات ونقل إلى المستشفى لأنه أفتى به أخاه موسى، والأسوأ أن موح يريد تبليغ شهادته للملازم بدر الدين، ولكنه لم يوفق في ذلك فلقد توفي في ظروف غامضة من طرف هؤلاء المجرمين، وفي هذا الصدد قال الله تعالى "إنه من يأتي ربه مجرماً، فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، ومن يأتيه مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى"⁽²⁾ (سورة طه الآية 74-75) وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى عادل في عقابه، وأنه لا يستوي للذي يعمل الخير مع الذي يعمل الشر فمصيرهما مختلف.

4-المستوى الاجتماعي في نصي البيت الأندلسي وفتاوي زمن الموت:

أ-مظاهر العنف الاجتماعي في البيت الأندلسي:

يؤكد الباحث عبد الرحمن العيسوي، أن القهر الاجتماعي هو الآخر، من أحد أهم مكونات العنف للفرد فحسب بل في المجتمع أيضاً، إذ أن مسألة الازدراء والسخرية والاستهزاء بالشخصية خصوصاً بين الأطفال والشباب أو حتى في الأسرة الواحدة، كفيلة بأن تزيد الإفرازات الهرمونية العصبية والعدوانية في الجسم، لتثير في الفرد روح العنف والحدق والكراهية واستخدام القوة للرد ورفع القهر الناتج عن الاستهزاء، إذ تشير العديد من التقارير

¹ - ينظر: المصدر نفسه، ص ص 114-115.

² - جابر عوض سيد، وأبو الحسن عبد الموجود، الانحراف والجريمة في عالم متغير، ص3.

المدرسية بأن أكثر المشاكل العنيفة بين الطلاب، كانت بسبب السخرية والاستهزاء وتسلط الكبار على الصغار⁽¹⁾، إن سبب الصراعات العنيفة بين الأفراد يعود في أصلها الحقيقي إلى خلافات حادة بينهم وهذا يؤدي إلى حدوث تغيرات جسيمة، تعبر عن العنف وتتجلى مظاهره المختلفة كالقتل والذبح والدمار وغيرها. ومن مظاهر العنف الاجتماعي الممارس على الأفراد نجد:

• العنف ضد المرأة:

ومن مظاهر العنف ضد المرأة في البيت الأندلسي، ما نلتمسه في قول الحاج إبراهيم لزوجته الثالثة: " أنت هنا إذا شئت تأكلين وتشربين، ولكن إذا ما عجبكش الحال الباب يفوت بقرة، وكانت تفهم جيدا أن لا بقرة غيرها، ولا باب غير باب منزلها"⁽²⁾ وهذا يعني أن المرأة لا تزال تعاني من احتقار الرجل لها، الذي يحاول دائما أن يستصغر من شأنها ويحط من قدرها.

قد يكون الغرض من العنف ضد المرأة، متمثلا في السخرية والاستهزاء، ومن المظاهر الأخرى للعنف ضد المرأة، نجد أيضا ظاهرة التعدي على حرمتها بطريقة غير قانونية أو غير شرعية، وهذا ما يتجلى في روايتها هذه عندما قال مراد باسطا: " عندما رفعت رأسي صوب الأعالى رأيت أن الضوء ما يزال مشتعلا في غرفة "سارة"، لم أستطع أن أكتم أنفاسي " بغل قبرصي" أو ربما ضبع ينهش غزالة لا بد أن يكون شيء ما غامض، إلى أقصى الحدود قد قادها نحو هذا المكان؟ جاذبية مبهرة لا تقاوم"⁽³⁾ وهذا يوضح أن الآخر دائما يستغل فرصة ضعف المرأة، ليلحق بها الإهانة تمس بعرضها وشرفها وكرامتها، فالرجل دائما مقدم على ممارسة العنف ضد المرأة وهذا ما يؤكدده "حسن مصطفى عبد المعطي" مع بعض الباحثين أن ارتباط العنف والعدوان بالكروموسومات الذكرية، فمن المعروف أن الذكر

¹ - محمود سعيد الخولى، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص 129.

² - البيت الأندلسي، ص 105.

³ - المصدر نفسه، ص 55.

يختلف عن الأنثى في وجود الكروموسوم (y) فالأنثى تكون (xx) بينما الذكر (xy) ولذلك يعد الكروموسوم (y) هو المحدد للجنس. وقد أوضحت الدراسات أن نسبة عالية من مجرمي العنف، الذين تم إيداعهم في السجون، بهم عيب في توزيع الكروموسومات لديهم تأخذ شكل (xxy)، وحاول البعض إرجاع السلوك العدواني، لدى هؤلاء الأفراد إلى وجود كروموسوم (y) زائد عن الطبيعي⁽¹⁾ وهذا يعني أن الذكر دائما له السلطة والقوة، ويحتل مرتبة وقيادة عليا وذلك رغبة منه أن يظهر المرأة في منزلة أدنى.

لقد تعرضت المرأة إلى أشد العنف من طرف المجتمع، والذي يتمثل في الاغتصاب أو ما يسمى بالاعتداء الجنسي من قبل الآخر، والذي يمارسه إجباريا على هذا الجنس الضعيف والمهمش ألا وهو الفئة الأنثوية، وهذا ما تجلّى في نص روايتنا هذه حيث قال "غاليليو الروخو" أثناء تعذيبه من طرف رجال محاكم التفتيش المقدس الإسبانية: "أنا لم أحمل السلاح يوما ضد ملوك الكاثوليك، ولكنني حملته ضد اغتصاب نساتنا، وضد الظلم الذي مورس علينا، كنت أدافع عن أختي التي اغتصبت في حي البيازين أمام الجميع، حيث اختطفها أحد العساكر وساقها إلى القلعة ليغتصبها ويرميها بالقرب من الحي اليهودي عارية فماتت بهذا النزف والغبن وكنت أتذكر أنينها وصراخها ورغبتها في الموت"⁽²⁾، هذا ما يبين مدى بشاعة ووحشية الجرم المرتكب والمقترف ضد الإنسانية، وأن الشخص الذي يمارس الجرم، فلقد أعدّ الله له عقابا قاسيا وعنيفا يوم القيامة⁽³⁾، وهذا يعني أن الإجماع بوصفه سلوكا خطير، يهدد حياة الفرد، ولهذا ينبذه الله تعالى نظرا للسلبات التي يجلبها.

إذن فمقدار فوز الإنسان بالجنة توزن بأعماله الحسنة التي عمل بها في الدنيا وبالتالي نقول بأن الإنسان الفاسق لا يفوز بالدنيا والآخرة، نتيجة تلك الأعمال المخزية والشريرة، التي يمارسها وسيطرت على عقله بحيث يجد لذة كبيرة في ارتكابها.

¹ - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص 95.

² - ينظر: البيت الأندلسي، ص 73.

³ - جابر عوض سيد، و أبو الحسن عبد الموجود، الانحراف والجريمة في عالم متغير، ص 3

قد يسب أو يهان شخص ما، نتيجة مخالفته للدين والشرع وعدم الالتزام والامتثال بمبادئه، وهذا ما نجده في هذا السياق الوارد في روايتنا هذه عندما قال: " علي وليد الحومة الشاب الملتحي وهو ينظر راشقا عينيه في صونيا غير المتحجبة، وأهمل نصيرة المتحجبة وصاح معلمة بلا حجاب؟ راح تدخلين النار لأنك سافرة استري روحك"⁽¹⁾ وهذا يعني أنّ الفتاة الغير المتحجبة تشتم في الدنيا من طرف المجتمع، وهذا بسبب عدم لباسها للحجاب من جهة، ومن جهة أخرى ينتظرها عنف وتعذيب في أقوى درجاته، وذلك في الآخرة أو يوم القيامة، وهذا كله نتيجة عدم إتباع ما جاء به ديننا الحنيف، إذن فالعنف قد يؤدي في الحياة من طرف المجتمع أو يطبقه الله سبحانه وتعالى على عبده في مماته حسابا على ما قامه من جرائم، ولهذا إذا ما قمنا بتعريف الجريمة في هذا السياق، التي تعني بالضرورة سلوك يحدث ضررا ماديا ومعنويا، فهي مصحوبة بعنف كجرائم القتل وسفك الدماء، ولهذا نقول أنّ العنف هو سلوك بدائي غير متحضر، يتسم بالعديد من المواقف الإجرامية، والتي تهدد حياة الأفراد بحيث تقف ضد أعرافه ومصالح المجتمع⁽²⁾، وهذا يعني أنّ أي تعصب وصراع بين الأفراد، قد يؤدي أو يعيق حركة التقدم والتطور في المجتمع، في جميع النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية.

من العنف الممارس اجتماعيا أيضا على المرأة يتجلى في السخرية والاحتقار إلى أبعد الحدود، وهذا ما نجده في نص الرواية (إثر سقوط امرأة من كثرة الدفع داخل السفينة، التي تقل السجناء إلى المنفى، حيث جرّها الحرس ووضعوها في الزاوية الخلفية ككتلة من الزباله التي كانوا يريدون التخلص منها، فصاح أحدهم مخاطبا زوجها: احمل معك زبالتك ولا تتركها وراءك، وإلاّ ستضطر إلى رميها في البحر"⁽³⁾، وهذا يكشف حقيقة الآخر، المفعمة بالعنف بالإضافة إلى نفسيته التي يجتاحها روح التكبر والغرور، والنظرة إلى الآخرين بنظرة

¹ - البيت الأندلسي، ص148.

² - ينظر: جابر عوض سيد، و أبو الحسن عبد الموجود، الانحراف والجريمة في عالم متغير، ص ص 238-240.

³ - البيت الأندلسي، ص94.

ازدراء ودونية واحتقار، وكل هذا الذي يحدث في المجتمع وراءه دوافع وأسباب، وهذا ما يؤكد أمانى محمد السيد: " أن العنف يرجع إلى التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي ظهرت في المجتمع، والتي أدت إلى وجود حالة من القهر والإحباط واليأس، تدفع الأفراد إلى مزيد من العنف"⁽¹⁾، إذن بسبب تلك الضغوطات المختلفة التي تمارس على الأفراد، قد يؤدي بهم إلى ممارسة العنف في المجتمع، بمختلف أشكاله من قتل وذبح وضرب وشتم وركل وغيرها من السلوكات القهرية، التي تلحق الأذى بالآخرين، ولكن بما أن معظم سلوك الإنسان سلوك متعلم، فلا بد أن يتعلم فقط ما هو إيجابي، والذي يعود بالمصلحة والمنفعة على الفرد والمجتمع.

إن تورط الإنسان في أعمال خطيرة وغير شرعية، أو مخالفة للقانون يؤدي به إلى الهلاك في آخر المطاف، لأن مصاحبة السوء لا يأتي لك من طرفهم إلا السوء، وهذا ما نجده في هذا السياق من روايتنا: عندما قام "الفينكا" في إقحام نفسه في أعمال خطيرة كمتاجرة الغبرة (المخدرات)، والتي أدت به في نهاية المطاف إلى قتل الشابة التي كانت بصحبته، وذلك باختراق الرصاصة ثديها فشوهته قليلا، كم هذا المشهد مؤلم وكذلك موته أو موت "الفينكا" في ظروف غامضة، قيل أنه يرجع ذلك إلى تصفية حسابات قديمة وهذا انتقام من تجار الأسلحة الذين لم يدفع لهم⁽²⁾، ولذلك فإن الإنسان يلد صفحة بيضاء وعندما يحتك بالمجتمع يصنع وبطبع فيه ما يشاء، ولذلك فإن الطفل مثلا يكون صورة عن المجتمع، وهذا الأخير هو الذي يغرس فيه ما يشاء، وهذا يعني أن الطفل يسير وفقا للقواعد التي وضعها المجتمع، ولذلك يؤكد مأمون محمد سلامة " أن اكتساب السلوك الاجتماعي في هذه المرحلة، مرتبط أساسا بظاهرة الخوف، فالطفل الذي يتعلم بعض النماذج الاجتماعية للسلوك، ليشكل عليها يجد نفسه أراد أم لم يرد، مرغما على التكيف مع متطلبات الحياة

¹ - محمود سعيد الخولى، العنف في المواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص98.

² - ينظر: البيت الأندلسي، ص381.

الاجتماعية للبيئة التي يعيش فيها"⁽¹⁾، وأنّ الفرد لا يوجد لوحده في هذه الحياة، بل يؤثر ويتأثر بالمجتمع، ويأخذ من هذا الأخير كل ما هو إيجابي وسلبى.

• العنف الأسري:

تعتبر الأسرة الخلية الأساسية في المجتمع، وأنها محيط تتوفر فيها العواطف المتبادلة وميثاق اللوائ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يظهر عكس ذلك، فالأسرة مجالا من مجالات التناقض، وهذا ما أكدّه **جين كلوتشيزنيس** " بأنّ الأسرة كذلك في كثير من الأحيان، مركز للعنف فهي المكان الوحيد الذي يكشف فيه كل شخص عن وجهه الحقيقي، دون تمييز والعنف في هذا المحيط يعتبر قويا أقوى من أي محيط آخر، ولكن العنف بين أفراد الأسرة الواحدة عادة لا يخضع للمناقشة فهو يعتبر من الأسرار المشينة"⁽²⁾، فالأسرة مظهر وقيم إيجابية بصفاتها مصدر الطمأنينة والسعادة، ولها أيضا جانب سلبي، متمثلا في ذلك السلوك الذي تمارسه الأسرة، ونجده يتسم بالعنف والعدوانية، أو استعمال القوة البدنية من أجل إلحاق الضرر بالأشخاص أو الممتلكات، وهذا وارد في نص الرواية عندما قال **كريمو لمراد باسطا** " أن بقية الورثاء من أولاد أخيك وعائلتك، حتى اللّي فيهم ريحة الشحمة في الشاقور، جاعونا بملفات تثبت أهليتهم وحقهم في الدار، ويطالبون بالبيع لاستلام حقوقهم، يرون أنّ السّعر الذي منحتة شركة التعمير والأبراج مقبول جدا"⁽³⁾ وهذا يعني في واقعنا الاجتماعي يحدث مثل ذلك، بحيث أنّ رابطة الدم تنشأ بينهم صراعات حادة وعنيفة بسبب الورث، وكل واحد يحاول أن يسيطر على الآخر، من أجل أن يحصل على أكبر قدر ممكن من الممتلكات أو الثروة.

إذن دائما الذين يتشاجرون أو يتكالبون على التركة أو الورث، تكون بينهم صلة قرابة أو من الورثاء، وهذا ما نجده في نص الرواية أيضا عندما قال **مراد باسطا** " هناك من سيقف

¹ - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص 136.

² - المرجع نفسه، ص 60.

³ - البيت الأندلسي، ص 112.

في وجوههم؟ أي الورثاء الذين يريدون بيع أو هدم البيت، سادق على كل الأبواب لإنقاذ البيت وليفعلوا به ما يشاعون فقط أن لا يهدمونه، لقد تحدثت مع رئيس البلدية وقد أبدى استعدادا كبيرا لحل هذه المعضلة، سألني مدير الديوان العقاري، شاب طيب، سادخل على وزير العدل إذا استدعى الأمر ذلك، سأصرخ في الساحة العامة، بأن الورثاء أصبحوا ضبعا وأن الضباع أصبحت قاتلة⁽¹⁾، ويتبين أن مراد باسطا ألمته مسألة السيطرة على البيت، ولهذا يحاول أن يبذل مجهودا لكي يقف في وجوه هؤلاء الضباع أو الطماعين والشيء الغريب أنهم لم يكونوا غرباء، بل من لحمه ودمه كما أقدموا هؤلاء الضباع أو الورثة على تعذيب أو إلحاق الأذى لكل من يقف في طريقهم أو ضدهم، وفي هذا الصدد تؤكد فادية أبو شهبه أن العنف هو كل استخدام غير مشروع للطاقة أو القوى المادية الجسمانية لشخص، ينتج عنه ضرر مادي جسماني لمن يقع عليه العنف، ويدخل تحت هذا التعريف كل فعل غير مشروع، ينتج عن جريمة من الجرائم، تمس بحق الإنسان في الحياة أو حقه في سلامة جسمه أو عرضه، إما في حالة القتل العمد أو المشروع فيه، والضرب المفضي إلى الموت أو الاغتصاب وهتك العرض⁽²⁾، وهذا يعني لقد تعددت مظاهر العنف التي تلحق الأذى بالأفراد، سواء كان هذا الضرر نفسيا أو جسديا أو السيطرة على الممتلكات الخاصة.

قد يمارس العنف من جانب إيجابي، من طرف هؤلاء الذين يرفضون الظلم، وهو رد للسياسة القاهرة، وهذا ما نجده في روايتنا عندما قام كارلوس لانا رشيست، "بحرق المزارع والإدارات بما فيها ممتلكات والده، التي يقضي فيها وقته يشتغل جنبا إلى جنب مع العمال الفقراء، كان يسرق ألبسته وألبسة أخواته، ويمنحها لهم طالبا منهم التخلص من أسماهم"⁽³⁾ إذن هنا فتطبيق ظاهرة العنف ليس من أجل العنف، وإنما رغبة في التخلص من هذا البلاء الخطير المنتشر في أوساط الأمة ووضع قواعد أكثر عدالة ورحمة بحيث تحقق المصلحة

¹ - ينظر: البيت الأندلسي، ص 115.

² - ينظر: محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص 46.

³ - البيت الأندلسي، ص 315.

العامة، بما في ذلك الطبقة الفقيرة والمهمشة اجتماعيا، فلا بد أن تراعي احتياجاتها ولهذا أكد "حسن محمود خليل" أنّ القرآن الكريم "قام بدعوة المسلمين أن يجلسوا مع المسلمين ويتناقشوا في قضايا مجتمعاتهم بروح تتسم بالصفاء والإشراف والحب والتعاون، بهدف الوصول إلى مجتمع متحاب تترف عليه أعلام الأخوة الإنسانية، والعلاقات الاجتماعية المتسمة بروح الود والصفاء، أي أننا نسالم من يسالمنا ونتعايش بالحب مع من يمد يده لنا بالمودّة"⁽¹⁾. وهذا يبين أن ديننا الإسلامي، دين حق ومودة وطمأنينة، وبالتالي فعلينا العودة إليه في كل مرة ليقينا، من ارتكاب الأخطاء التي تمس كرامة وشرف الفرد.

إنّ الإنسان عبد ضعيف، وبالتالي سهل عليه أن ينحرف ويرتكب المعاصي، وهذا يكون بسيطرة غرائزه الحيوانية على عقله، وبالتالي يصل ذلك الشخص إلى حالة خطيرة يصعب عليه تصحيح أخطائه نظرا لمدى بشاعة الجرم المقترف، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالكرامة أو الشرف، وهذا ما نجده في نص الرواية عندما حدثنا السارد بتلك المجزرة التي وقعت في باب الجديد حينما خطبوا المحروسة "خداوج" بنت باش طرزي" غطاها والدها بكل أنواع الكتّان والألبسة النادرة، بحيث أثارت غيرة كل النساء التي حضرت عرسها لكن في ليلة الدّخلة سمعوا عويلا، يشبه عويل ذئب يا ويلي زوجوني خداوج لا هي امرأة ولا هي رجل وعندما سمع أهل الزوج يندب ابنهم، دخلوا عليه ألبسوا للعروسة حصيرا فطردوها إلى بيت أهلها، والحصير يعني أنّها ليست عذراء فقتلها أهلها بدون أن يسألوها، وانتهى الأمر بمجزرة كبرى⁽²⁾، وهذا يعني أنّ شرف الإنسان غالي، وهو الأصح في هذه الدنيا، وإذا لم يحافظ عليه يعاقب من طرف المجتمع، لأنّ ذلك يعتبر مخالفة لقواعده وأسسّه، وهذا ينطبق على مجتمع معين دون آخر لأنّ المجتمعات الأخرى ترى أنّ مسألة الشرف شيء ثانوي وليس جوهري، فهذا مختلف عندنا ولذلك أكد فريق من الاختصاصيين بصعوبة تعريف

¹ - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص163.

² - ينظر: البيت الأندلسي، ص411.

العنف أمر يعاني منه بصورة خاصة العالم الاجتماعي، وأنّ ما يسمى بالعنف يختلف من مجتمع لآخر ففي نظام إفريقي مثلاً، تعتبر تقديم الذبائح البشرية أمر طبيعياً⁽¹⁾ وهذا يوضح ما هو غير مباح عندنا، فهو مباح في مجتمع آخر.

ب-مظاهر العنف الاجتماعي في فتاوي زمن الموت:

• العنف المدرسي:

تعتبر المدرسة حلقة وسط بين البيت والمجتمع، وبالتالي فالفرد قد يتعرّض للعنف من طرف معلميه، وذلك نتيجة لسلوكه السيء والغير الأخلاقي، وهذا ما نجده في نص الرواية عندما قال السارد (موح) " بأن معلمنا المدعو السيد ابن حمو" كان يكره وينفر من زربوط مثله مثل المعلمة مادموزيل بليكان، حتى ذات يوم شد إلى ظهره ورقتين كبيرتين، كتب في كل واحدة منهما بخط بارز، أنا إبليس وأرغمه على أن يدور بهما عبر جميع الأقسام، وذات يوم زجّ به في خزانة القسم وأغلقها عليه ثم نسيه فيها، بل نسيناه كلنا فقد تركنا المدرسة دون أن يتذكر أمره أحد، فلما عدنا بعد الظهر سمعنا دقات قلبه تنبعث من داخل الخزانة فأدركنا أن زربوط الذي كانت قد أخذته في الخزانة سنة من النوم، لم يتناول غذاءه في ذلك النهار"⁽²⁾ بما أنّ شخصية زربوط ذو سلوك طائش، وبالتالي وجد أمامه من يلقّنه درسا، وهم معلميه في المدرسة، فلقد طبقوا عليه أشد عقوبة، ولكن ممارسة السلوك العدواني لا يقتصر فقط باعتداء المعلم على التلميذ، بل يتوسع إلى أكثر من ذلك، ففي هذا الصدد أكد السيد محمد عبد الرحمن الجندي أنه ظهرت موجات من العنف في المدارس، عبرت عنها الصحف، وذلك بتعدي التلاميذ على بعض المعلمين، ويقومون بعمليات حرق الأشياء بالإضافة إلى اعتداء أيضا، بعض التلاميذ على زملائهم في المدرسة⁽³⁾، هذا ما يجعلنا

¹ - ينظر: فريق من الاختصاصيين المجتمع والعنف، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د ط، 1976، ص 82.

² - فتاوى زمن الموت، ص 11.

³ - ينظر: محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص ص 63-64.

نصف هذا السلوك المخزي، فبدلاً أن تكون المدرسة فضاء لاكتساب المعرفة والعلم أصبحت مسرحاً للعنف والحالات الدامية والمرعبة.

• العنف الأسري:

إنّ الرجل الوحيد في العائلة دائماً يحاول أن يظهر هو الأقوى، والمسير لكل أمور وشؤون أسرته، ولذلك يلجأ أفراد العائلة إلى الرضوخ لأوامره وطلباته، وكل هذه السلوكات تؤدي في نهاية المطاف إلى انهيار الأسرة، وهذا ما نلتمسه في نص روايتنا هذه، عندما تسبب **قدور** بسبب انحرافه وفساد سلوكه، في عدم حصول أخواته السبع على عروض الزواج بالرغم من الجمال الذي يتمتعن به، وكنن يتوقفن عن الدراسة بمجرد بلوغهن سن الخامسة عشرة، وهذا كيف ما كانت نتائجهن الدراسية، ولا يخرجن من البيت إلا بارتداء حائك يغطيهن من الرأس إلى أخمص القدمين، بالإضافة إلى أن والد **قدور** وهو إمام في المسجد ذات يوم أثناء إلقائه لخطبة الجمعة، بكى لأن الموضوع يدور حول عقوق الأبناء فقد كان يتساءل كيف يمكنه إرشاد الناس وهدايتهم، وهو أعجز ما يكون عن توجيه ابنه وجهة صحيحة، فكان لا يخاف الله لا يصوم ولا يصلي⁽¹⁾، نقول ما من فضاء سلم من العنف، ففي واقعنا أينما ذهبنا ساد العنف، وهذا شيء مفروع منه لأن الحياة كلها قلق وبالتالي تظهر صراعات نفسية عنيفة، وهذا ما أكدته علماء النفس " على أن الخبرات المؤلمة التي يتعرض لها الإنسان في الطفولة، خاصة في الطفولة المبكرة مسؤولة على تنمية العوامل المهيئة للانحرافات **فرويد** يرجع الاضطرابات النفسية في الرشد، إلى الصراعات التي لم تحمل في الطفولة⁽²⁾ يعني هذا أن الإنسان المعقد يحاول بطريقة أو بأخرى السيطرة على أفراد الأسرة أو المجتمع عامة، وذلك يعتبر بالنسبة له تنفيساً وتخفيفاً لمعاناته النفسية المريضة.

¹ - ينظر: فتاوى زمن الموت، ص ص 17-18.

² - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص ص 155.

إنّ ظاهرة الطيش قد تؤدي بالفرد شيئاً فشيئاً إلى الانحراف، والأسوأ من ذلك يصبح لا يحترم أفراد العائلة، بما في ذلك والده وإخوته، فتصدر منه تصرفات لا أخلاقية، وهذا ما نجده في هذا السياق من روايتنا هذه، حيث قال السارد " أن إبراهيم كان عضواً في عصابة الأشرار، بالإضافة إلى أنّه دائم الشجار مع والده، وذات يوم ضرب إبراهيم من طرف أبيه فهدهد بالقتل، إذا تجرأ وأن ضربه مرة أخرى، كما كان يضرب أخته "خوخة"، ويهدد الجميع بالسكين، وهكذا في كل مرة كان ياسين الحزين وعائلته ينتظران في كل مرة ظهور إبراهيم في جوّ من اليأس والرعب، وفي النهاية قرر ياسين الحزين، بموافقة أبيه على أن لا يفتحوا الباب لإبراهيم"، فصار إذا ما جاء أثناء الليل كعادته يظل يطرق الباب، وهو يصرخ ويسب ثم ينتهي به الأمر إلى الانصراف وهو يلعن ويتوعّد⁽¹⁾، وهذا يعني لو لجأ أفراد العائلة إلى الحوار المبني على التفاهم لما حصل ما حصل، كما أنّ توظيف العقل ينقذ الفرد من الوقوع في المصائب، وفي هذا الصدد لقد وضع فؤاد أبو حطب وآخرون طرق متعددة لمواجهة العنف منها: تنمية الوعي لدى الشباب بحقيقة الحياة الإنسانية، وهنا يمكن للمؤسسات التعليمية ووسائل الإعلام، أن تقوم بدور فعال في ذلك بالإضافة إلى تحقيق الديمقراطية وحرية التعبير والرأي، بحيث يكون أسلوبه الحوار لا العنف هو السبيل للفهم والتفاهم⁽²⁾.

وبهذا فإنّ العنف ظاهرة اجتماعية خطيرة، فلا بد من القيام بدراسات عديدة لمعرفة أسبابها ودوافعها، والمظاهر التي تتخذها.

قد نصاب بصدمة أو نقف في حالة من الذّهل والذّعر، بمجرد سماعنا أنّ هناك أخ أفتى بقتل أخيه، وهذا تجلّى في نص الرواية عندما أخبر الرجل الأصلع من الشرطة موح أنّ أخاه موسى الإرهابي قد وزع القائمة على القتل، لقد اتصلنا ببقية المعنيين وأشعرناهم بأنّ حياتهم في خطر، لهذا السبب اتصلنا بك أنت أيضاً، أن تحذر منه أي من أخيك موسى

¹ - فتاوى زمن الموت، ص ص 85-86.

² - ينظر: محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص156.

لكن أحسن حماية توفرها لنفسك، هي أن تتعاون معنا أعطينا كل الأسماء، الذين يتعاونون مع موسى، فهؤلاء هم الذين سيسعون إلى قتلك، ولكن في الأخير حصل فعلا ما توقعه الملازم، بأن موسى شكل جماعة إرهابية وقام بتحريضها ضد أخوه موح، فلقد أصيب برصاصات كادت أن تقتله⁽¹⁾ وهذا يوضح أن لجوء فرد ما، في المجتمع إلى استخدامه الأسلوب العنيف بين الأفراد، يرجع إلى عدم إحساسه بعدم الانتماء والارتباط الاجتماعي وهذا ما أكدته طلعت إبراهيم لطفي " أن بعض الأفراد قد يتخذون من العنف، أسلوبا للحياة ويلجئون إلى العدوان على الآخرين، نظرا لعدم معرفتهم بأسلوب آخر للحياة، غير السلوك المتسم بالعنف"⁽²⁾، فهؤلاء الأشخاص فاقدين الإحساس بالبشر، ولا يتألمون لمعاناتهم، بل تسكنهم روحا شريرة تقودهم دائما إلى ما هو سيء وخطير.

5- من خطاب العنف إلى خطاب اللاعنفي في نصي البيت الأندلسي وفتاوى زمن الموت:

نقصد بـخطاب العنف هو ذلك الخطاب، الذي يتضمن معنى القوة والازدراء والشتم والسب أما خطاب اللاعنفي هو خطاب يدعو إلى السلم والاتحاد والتعاون والتسامح والأخوة. نقصد بـخطاب العنف المقلوب، هو الخطاب الذي يقلب أو يعكس ما هو متداول في خطاب ما، فقد عرف عن المستعمر أنه انتهازي ومحنتل واستعبادي واستغلالي لثروات الشعوب الضعيفة والبشرية والطبيعية، وكذلك لموروثها الثقافي بمفهومها الواسع فكرا وأسلوبا. ولكن قد يلاحظ قارئ رواية ما، أن الخطاب المتداول عن مستعمر ما، ليس دائما معه حقيقة مطلقة أي نظرة المستعمر للمستعمر، لا يجب أن تكون سلبية مطلقة بشكل غير محدود، بل بالعكس هناك دائما هامش كإطار إيجابي تقلب أو تعكس ما استوعبنا وهضمناه، من مقولات وخطاب مشبع بنظرة سلبية مطلقة، تجاه أي تواجد استعماري على أرض ما.

¹ - ينظر: فتاوى زمن الموت، ص ص 119-130.

² - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص 103.

يظهر أن مثل هذا الخطاب المقلوب والمضاد، لما هو سائد وفرته لنا روايتنا البيت الأندلسي وفتاوى زمن الموت بشكل ما.

أ- مظاهر خطاب الاستعمار المقلوب في البيت الأندلسي:

لقد كانت نوايا الفرنسيين إيجابية إزاء، عائلة مراد باسطا، وهذا أثناء رضاهم بإقامتهم في البيت الأندلسي، وهذا ما ظهر جليا في نص الرواية عندما قال باسطا: الفرنسيون لم يزعجون عندما احتلوا البيت، قالوا ابقوا حيث أنتم نحتاجكم وتركوا العائلة في بيت الخدم وهو البيت الذي ولدت فيه، ووالدي رفض عقود الشراء التي اقترحوها عليه، قال لهم: أنتم السادة الآن بإمكانكم أن تفعلوا ما تشاءون، أن تأخذوا البيت أن تكتروه أن تستأجروه⁽¹⁾، إن فرنسا بعدما كانت تصنع الخراب والدمار، وانتهجت سياسة صارمة اتجاه المواطنين الجزائريين وبالعكس في نصنا هذا ظهرت بوجه ايجابي متمثلا في السماح لـ"باسطا" العيش في البيت الأندلسي والإقامة فيه، ومغادرته في الوقت الذي يشاء ونقول في هذا الصدد: "إذا ما نظرنا في الخطاب الروائي الجزائري المدروس، وجدناه في أحداثه خطابا يروى قصة خاصة بحيث يرتبط موضوعها بقضايا الساعة في وقتنا الراهن، وقد تكون عايشها الأفراد بكل جوارحهم، وهو في ذلك يحقق خصوصيته بآليات بنائه التقني والجمالي، هذه الآليات تشكل من الخطاب واللغات والشخصيات، وخصوصيات أمكنه حركتها وطرق عيشها وأسباب معاناتها، المتمثلة في السلطة القامعة والمهشمة، لوجودها بتواطؤ مع القاتل، وهي تكابد من أجل عيش عادل وآمن، حتى تحقق أحلاما يشاركها فيها كل إنسان يعرف معنى الإنسانية"⁽²⁾، وهذا يوضح أن الخطاب الروائي ينسج عالمه الخاص، بهدف تخصيص الشخصية في هذا العالم المتخيل بهويتها وطموحاتها ومعاناتها وأحلامها. إن دخول فرنسا إلى الجزائر لها أثر إيجابي في إحداث عدة ترميمات وتخطيطات جديدة، وفقا لذوقها الخاص

¹ - ينظر: البيت الأندلسي، ص 203.

² - الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص 4.

وهذا ظهر جليا في روايتنا " منه توسيع الطريق الرئيسي الذي مس مرتفعات المدينة لفك عزلتها، وبناء ميناء الجزائر الجديد وتغيير مسارات السكك الحديدية الجديدة، كما أعاد ليون ليسكا" وحاكم الجزائر **جونار** تركيب الأخشاب المتهاكة للبيت الأندلسي، وبناء جوانبه المنهارة، وكان **جونار** معجبا حد الجنون بالطراز الأندلسي، حتى الزيادات التي أضافها لم تبد نشازا، فقد رأى النموذج الأصلي الذي بنى على أساسه، أعاد ترميمه مثلما اشتهى محافظا على جوهره، وجعل منه معلما ثقافيا جميلا ومزارا للمثقفين الوافدين على المدينة"⁽¹⁾ لقد أدخل **جونار** على البيت الأندلسي كل ما هو عتيق وأصيل، فكانت الجزائر في عهده زاخرة بمختلف المنجزات الكبرى، ولم يكتف **جونار** بهذا فقط، بل أسس دار الفنانين في مرتفعات المحروسة، التي استقبلت كبار الفنانين والموسيقيين والرّسامين، وهذا يدفعنا إلى القول بأنّ تلك المنجزات التي أقامها **جونار**، تضاهي بعض الخطابات التي تبث في التلفزة بحيث تؤثر على المشاهدين، من خلال عرض تلك الصّورة واللّون والحركة والموسيقى ولكنها تبقى ليست حقيقة ملموسة، ولهذا فإنّ مشاهدة البيت الأندلسي كصورة حيّة واقعية تجلب عقول الزوّار أفضل من تخيّلها، وذلك عندما يسرد الراوي للمتلقي خصوصيات البيت الأندلسي.

من المنجزات الأخرى التي شيّدها الحاكم **جونار** في الجزائر، وهذا إثر ملاحظته بتدنّي المستوى الثقافي والحضاري للجزائريين، منذ استقرار الحملة الاستعمارية الفرنسية ومن الإجراءات التي اتخذها قصد الإصلاح وهذا ما نتلمسه في نص البيت الأندلسي "حيث راح **جونار** يخطط لبعث حياة جديدة، في النفوس الجامدة بالتقرب من المثقفين التقليديين وتحفيزهم على الإنتاج الفكري، خطط بعناية لبناء البريد المركزي الذي شيده على الطراز الموريسكي، كان مولعا به، وبنى أيضا المدرسة الثعالبية بجوار مقام سيدي عبد الرحمن الثعالبي سنة 1904، فكانت منارة للعلوم الإسلامية أنجزت بإتقان وفق نمط هندسي أندلسي جميل، وفي

¹ - البيت الأندلسي، ص ص 309-311.

عده أيضا انتعشت حركة التدريس وتأليف الكتب التراثية تعريف الخلف برجال السلف للشيخ **أبي القاسم الحفناوي**⁽¹⁾ وهذا يوضح أنّ **جونار** قد ترك صورة إيجابية في نفوس الجزائريين، بسبب تلك الأعمال الهائلة والعظيمة التي قام بها، والتي جلبت العديد من السائحين قصد التعرف على هذا التراث القيم، والذي يحمل بصمة خاصة فريدة من نوعها، وهذه المنجزات بمثابة خطاب وجهها **جونار** للجزائريين، ليبين أنّه يصهر على مصلحتهم وراحتهم، وفي هذا الصدد أكد **باختين** أنّ الخطاب كنص روائي يتأثر بمستويات السرد، فهناك خطاب السارد وخطاب الشخصيات والخطاب المروي كاستحضار لأحداث القصة للمتلقى⁽²⁾، نقول هنا إنّ الخطاب يمكن أن يكون كنص، حيث يشكل متتالية من الكلمات، كما يمكن أن يكون الخطاب أيضا عبارة عن متتالية من الألفاظ، كإجراء يتم بين المتكلم والمخاطب قصد أداء عملية تواصلية.

إنّ سبب صمود واستمرارية البيت الأندلسي، كان بفضل ما قام به الحاكم **جونار**، عبر لمستته الخاصة لما أضافه للبيت الأندلسي، وهذا ما ظهر جليا في نص الرواية حيث قال **مراد باسطا**: " كل الترميمات التي أضيفت في عهد **جونار**، ظلّت واقفة وسمحت للبيت بالاستمرار أكثر في الحياة، الأعمدة والمقرنصات التي سقطت أعادها وأعاد ترميم مغامرة سير فانتش ومسجد الثعالب، جاء بعمال من إسبانيا أو غرناطة وكلفهم بعمليات الترميم فلقد استبدلوا جزءا من الحيطان بالزجاج الذي ينغلق وينفتح على واجهة البحر، حتى السقف الذي كان يغطي المقصورة نزع قرميده القديم، وعوّضه بالزجاج المعشق بالألوان والمواد العاكسة للشمس عندما تكون قوية"⁽³⁾، نتساءل هنا عن الطيبة التي يكتّها **جونار** للجزائريين، بتقديمه تسهيلات مختلفة في أرض غير أرضه، وهذا لا لسبب إلاّ استفادة **جونار** من تلك المشاريع،

¹ - البيت الأندلسي، ص 313.

² - ينظر: سامية داودي، صوت المرأة في روايات إبراهيم سعدي، ص 44.

³ - البيت الأندلسي، ص 333.

لكي تخدم مصالحه الخاصة، ولهذا قام بمجموعة من الترميمات والإصلاحات وفقا لذوقه الخاص، وذلك بإضفاء عليها نوع من اللمسة العصرية.

ب- مظاهر خطاب الاستعمار المقلوب في فتاوى زمن الموت:

لعلّ من المظاهر القليلة، التي جسّدت هذا النوع من الخطاب في هذه الرواية السياسية الاستبدادية والاضطهادية، التي مارستها فرنسا إبان الثورة على الجزائريين بحيث ارتكبت في حقها مختلف الجرائم، متمثلة في القتل والدمار والتعذيب والتّهجير، إلّا أنّها من ناحية أخرى تركت لنا ما هو إيجابي، بحيث لعب دورا كبيرا في حياتنا مثل: تشييد تلك الجسور العملاقة والتي صمدت وبقيت إلى يومنا هذا، بالإضافة إلى تشييدها لبعض من المدارس والتي لها دور فعّال في تثقيف أجدادنا في تلك الفترة الاستعمارية، والشيء الوحيد الملفت للنظر هو أنّ كلّ من تعلّم عند الفرنسيين نراه متمكن من إتقان اللغة الفرنسية في عصرنا الحالي، إذن ففي نص روايتنا هذه، وردت لفظة المدرسة التي كانت المعلمة "مادموزيل بليكان" تشتغل فيها، بحيث تعلم أطفال الحي من بينهم زربوط الذي يتحصل على أسوأ العلامات لطيشه وكذلك التلميذ "فرنانديز" من أصل إسباني الذي يحتل المرتبة الأولى بلا منازع، وغيره من التلاميذ الذين درسوا عند المعلمة "مادموزيل بليكان"، بالإضافة إلى تخصيص لهؤلاء التلاميذ، مدرسة حرة تمارس التدريس بالعربية، دروسها تبدأ في الصباح والمساء أما الأوقات النهارية، كانت مخصصة للمدرسة العمومية العاملة باللغة الفرنسية⁽¹⁾، وهذا يعني أنه شيء إيجابي، في تعلم لغة غير لغتنا المتمثلة في اللغة الفرنسية، بالرغم إلى أنّها لغة العدو الذي آذانا يوما بقوانينه التعسفية، إلّا أنّنا لا يجب أن ننبذها ونكرها لأننا بها نفتح آفاقا مستقبلية واسعة، لأنّ عدم اكتساب العلم والمعرفة يؤثر سلبا على حياة الأفراد، وهذا ما يؤكدّه "خيري خليل الجميلي" أنّ الرّسوب المدرسي إحدى عوامل تشغيل الصغار في مختلف التجارب

¹ - ينظر: فتاوى زمن الموت، ص ص 10-11، 62.

القاسية، والإحباط المتواصل، فهذا يؤدي بهم إلى الانحراف⁽¹⁾، وقد يقحمون في أعمال خطيرة كتعاطي المخدرات والسرقة والقتل والسطو وغيره.

¹ - ينظر محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، ص164.

خاتمة

توصلنا في بحثنا هذا إلى مجموعة من النتائج المستخلصة بعد تحليل مختلف العناصر نعرضها كالآتي:

- يتحدد مفهوم العنف بأنه سلوك أو فعل بذيء، يلحق الضرر سواء بالذات أو بالآخرين، ويكون هذا الضرر ماديا أو معنويا، الذي يؤدي بدوره إلى الشعور بالدونية أمام الآخرين بسبب فقدان الكرامة.
- يمارس الأفراد العنف الجسدي وهو الأكثر انتشارا في المجتمع، وخاصة يمس الفئة المهمشة والضعيفة، بحيث يعتدي عليهم إما ضربا أو اغتصابا أو ذبحا أو قتلا، وغيرها من المظاهر المختلفة.
- يتنوع مصدر أو منبع العنف، قد يكون هذا العنف صادر من الحكومة أو من الشعب أو من الإرهاب، فكل واحد يستخدم أجهزته القهرية من أجل السيطرة على الآخر.
- برزت في الساحة الأدبية كتابا اشتغلوا على ظاهرة العنف، بخاصة نجد "واسيني الأعرج" وجيلالي خلاص" ورشيد ميموني" والطاهر وطار" ورشيد بوجدره" وبشير مفتي" وفضيلة فاروق وياسمينه صالح" و" إبراهيم سعدي" ومرزاق بقطاش" والطاهر جلول وغيرهم.
- استغلال الجسد الإنساني لتنفيذ عمليات إجرامية لا أخلاقية، وخاصة عند النساء كالدعارة أو المتاجرة الجنسية، مقابل مبالغ مالية هائلة.
- تعددت الروايات التي تناولت ظاهرة العنف، على الصعيد العربي منها: رواية عبد الرحمن منيف وحيدر حيدر وهلسا غسان كنفاني وصنع الله إبراهيم وجمال الغيطاني وفوزية رشيد بكر خليفة وحنا مينا ومحمد زفزاف.
- تنوع المشاهد الرهيبة، الممارسة على السجين في السجن، منه وقوع ذلك الجسد كضحية للجوع والبرد ونقص الفراش.

- تعرفنا بعد الاطلاع على المدونتين على مظاهر العنف المادي، من ذبح وتعذيب وظاهرة القتل وسلوك الاغتصاب والكسر والهدم في البيت الأندلسي، كما تعرفنا أيضا على مظاهر العنف المعنوي من شتم وسب على المستوى الفردي والجماعي وظاهرة السخرية في فتاوى زمن الموت.

- تتمظهر ظاهرة خطاب العنف على مستويين في كلا من المدونتين، فمن مظاهر العنف على المستوى الرسمي في البيت الأندلسي، نجد العنف الصادر من طرف السياسة/السلطة، وكذلك العنف الصادر من طرف محاكم التفتيش المقدس والأتراك والقطاع الإداري، أما إذا تصفحنا مظاهر العنف على المستوى الرسمي في فتاوى زمن الموت، نجده متمثلا في عنف العصابات الإرهابية.

- أما المستوى الثاني تمثل في المستوى الخاص/الفردي، أدرجنا من خلاله العنف المؤسساتي والعنف الشخصي في البيت الأندلسي، كما تطرقنا أيضا إلى ذكر العنف الشخصي/الخاص في فتاوى زمن الموت"، الذي ينشأ بين فرد وآخر في حياتنا اليومية، وقد يتحول إلى مجزرة كبرى.

وردت مستويات أخرى في المدونتين كالمستوى الديني/الأصولي بحيث عرضنا في البيت الأندلسي موقف الكنيسة من الموريسكيين، وذكرنا أيضا مظاهر العنف الديني في فتاوى زمن الموت متمثلا في تعامل الأصوليين مع المواطن في فترة التسعينيات / العشرية السوداء.

- تطرقنا أيضا إلى ذكر مظاهر العنف على المستوى الاجتماعي في كل من المدونتين، ففي البيت الأندلسي، نجد العنف ضد المرأة والعنف الأسري، أما مظاهر العنف الاجتماعي في فتاوى زمن الموت يتجلى في العنف المدرسي والعنف الأسري.

- توصلنا كذلك إلى التمييز بين خطاب العنف الذي يتضمن معنى القوة، أما خطاب اللاعنف يدعو إلى السلم والتعاون والتسامح.

نعرف أنّ من خصوصيات المستعمر، أنه انتهازي واستعبادي للشعوب الضعيفة، ولكن قارئ نصي البيت الأندلسي وفتاوى زمن الموت يحس عكس ذلك، أنّ هذا المستعمر جاء أيضا بشيء إيجابي، وخطاب الحاكم **جونار** دليل على ذلك، عندما قام بوضع أعمدة للبيت الأندلسي مقاومة للزلازل، وكذلك شيد المدرسة الثعالبية وبناء ميناء الجزائر الجديد. لعل من المظاهر القليلة والإيجابية، التي قام بها الاستعمار المقلوب في فتاوى زمن الموت، هو بناء مدرسة لتتقيف أفراد الحي.

ملحق خاص:

1- ترجمة موجزة عن الروائيين

2- عالم الروائيتين

1- ترجمة موجزة عن الروائيين

أ- ترجمة موجزة عن الروائي واسيني الأعرج:

«من مواليد 1954 بتلمسان، جامعي وروائي، وكان يشغل اليوم منصب كرسي بجامعة الجزائر والسيوريون، يعتبر أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي، وتنتمي أعماله إلى المدرسة الجديدة التي لا تستقر على شكل واحد.

تحصل في سنة 1989 على جائزة تقديرية من طرف رئيس الجمهورية شادلي بن جديد، ونال سنة 2001 على جائزة الرواية الجزائرية، واختير سنة 2005، كواحد من خمسة روائيين عالميين لكتابة التاريخ العربي الحديث، كما حازت روايته كتاب الأمير سنة 2006 على جائزة المكتبيين، وسنة 2007 تحصل على الجائزة الكبرى للآداب، وفي سنة 2008 فاز بجائزة الكتاب الذهبي على روايته كريماتوريوم (سوناتا لأشباح القدس)، وترجمت العديد من أعماله إلى العديد من اللغات الأجنبية من بينها: الفرنسية الألمانية، الإيطالية، السويدية الإنجليزية الإسبانية والعبرية.⁽¹⁾

إضافة إلى الروايات السابق ذكرها هناك مجموعة أخرى من الروايات وهي:

- رواية البوابة الحمراء (1980)
- طوق الياسمين (1981)
- رواية الفاجعة السابعة بعد الألف (1993)
- رواية سيدة المقام (1995)
- المخطوطة الشرقية (2000)
- رواية البيت الأندلسي (2010)
- مملكة الفراشة (2013)
- رماد الشرق (2013)
- رواية سيرة المنتهي (2014)
- رواية 2084 حكاية العربي الأخير (2015).

¹ - البيت الأندلسي، ص4.

ب-ترجمة موجزة عن الروائي إبراهيم سعدي:

«إبراهيم سعدي باحث وأستاذ جامعي وروائي جزائري، من مواليد 1950 بولاية بجاية يحمل دكتوراه في الفلسفة، وهو يدرس حاليا بجامعة مولود معمري بتيزي وزو، وقد اشتغل بمعهد اللغة والآداب العربي في الفترة الممتدة ما بين 1982 و2008، وبعد ذلك تحول إلى قسم الفلسفة، الذي فتح أبوابه للطلبة في السنة الجامعية 2009-2010 ليعود ثانية إلى المنزل الأول في نوفمبر 2010.

نشر إبراهيم سعدي إلى اليوم مؤلفا يضم مساهماته في مجال النقد يحمل عنوان "مقالات ودراسات في الرواية" ومجموعة من الروايات:

- المرفوضون (1981)
- النخر (1990)
- فتاوى زمن الموت (1999)
- بوح الرجل القادم من الظلام (2002)
- بحثا عن آمال الغبريني (2004)
- صمت الفراغ (2006)
- كتاب الأسرار (2007)
- الأعظم (2010)

اشتغل الكاتب أيضا في الصحافة حيث تعامل لمدة ثلاث سنوات مع الملحق الأدبي "أفاق" التابع لجريدة "الحياة" اللندنية مع جريدة الشروق الجزائرية، حيث كان ينشر مقالات أسبوعية حول الثقافة والمجتمع والسياسة.

ترجم رواية صيف إفريقي لمحمد ديب" من الفرنسية إلى العربية وكتابا لمولود قايد" حول تاريخ البربر.⁽¹⁾

¹ - سامية داودي، صوت المرأة في روايات إبراهيم سعدي، ص26.

2-عالم الروايتين:

أ-عالم رواية البيت الأندلسي:

تبدأ أحداث هذه الرواية، بتعرف ما سيكا التي تقرأ في الصف الطلابي على مراد باسطا، الذي أحب البيت بحيث شيده جده غاليلىو الروخو في قلب العاصمة بالجزائر تكريما ومحبة لزوجته لالة سلطانة بلاثيوس"، ولكن رحل غاليلىو وترك المخطوطة التاريخية لمراد باسطا التي تثبت ملكيتهم في البيت، ولكن للأسف أصيبت المخطوطة بحروق إثر النار المشتعلة في البيت فأنقذتها ماسيكا".

سرد غاليلىو قصة نفيه من طرف محاكم التفتيش المقدس من اسبانيا إلى منفى الجزائر، وكان مقيّدا بالسلاسل، كما عمل كمترجم في قصر الأغا حسن فنيزيانو كمترجم والتقاءه مع الرهينة ميغيل وفزعه من دالي مامي.

تمّ شراء البيت من طرف الأغا الذي أهده لابنته خداج العمياء، سمح لمارينا بنت غاليلىو بالدخول إلى البيت وقتما شاءت، كما أعجب نابليون بوناپرت بالبيت وحوّله إلى دار البلدية، ومن التسميات التي أطلقت عليه: ملهى الضفاف الجميلة، دار مسكونة، دار زرياب.

من بين الشخصيات التي مرّت على البيت الأندلسي موح الكارتيل مع حبيبته سارة التي تعتبر نفسها كقحبته التي تمنح جسدها له، كما أنّ موت وراث البيت أدّى إلى زوال جماله، فهذا ألم كثير مراد باسطا، إلّا أنّه نفذ وصية جده بأن يبقوا في البيت، وعدم مغادرته حتى لو أصبحوا فيه عبيدا.

إنّ نفي غاليلىو الروخو إلى المنفى برفقة الكاهن أنجيلو ألونصو"، وعلى إثر ذلك اشترى غاليلىو قطعة أرض من الرئيس حميد كروغلي ليشيّد بيتا بطريقة أندلسية في القسبة ليهديه لحنا سلطانة".

من المشاهد المربعة التي صورها غاليلىو في المنفى يقول: شممت روائح كريهة وشعرت بأمعائي تتدلق، من جزاء الرّوائح المنبعثة من الجثث، فهذا مثير بالاشمئزاز

والخوف، كما تلقى الإهانة بدوره عندما جردوه من اللباس، فعانى من موجة البرد القارس وكان الملك **فرديناند** وزوجته **إيزابيلا** أصدرتا مرسوماً ينص بتنصير المسلمين في إسبانيا، كما حوّلوا المساجد إلى كنائس، فهم ضدّ كل ما يتعلق بالدين الإسلامي.

كما سقطت غرناطة 1568 على يد **دون خوان النمساوي**، عندما شن معركة ضد المسلمين المورييسكيين في إسبانيا، فهذا أدى بدوره إلى سقوط **محمد بن أمية** وعند ما خلفه **عبد الله بن محمد** استشهد على يد الإسبان.

رغبة تلاميذ الاستقلال بزيارة البيت الأندلسي لكي يتعرفوا على موروث الأجداد، وبهذا طلب **مراد باسطا** من **حسين التريسيان** أن يركب لمبة، ويسلطها على المخطوطة لكي يراها التلاميذ رفقة المعلمة **صونيا** والأستاذة **التاريخ نصيرة**، فطرح التلاميذ أسئلة غريبة وغامضة عن المخطوطة التي كتبها **غاليليو** بلغة الخيميادو.

فلقد تنوعت وتعدّدت الأحداث في هذه الرواية منها: مجيء **ألدون فريد يريكو دي طوليدو** إلى الأغا لإطلاق سراح الرهائن الأسبانيين، وفي ذلك الوقت سافر كل من **غاليليو** و**سلطانة** إلى الدانمارك فقضا ليلة جميلة، وعندما عاد **غاليليو** إلى القصر انشغل بمساعدة **ميمون البننسي** في صناعة الذهب، كما شكلت **لالة سلطانة** فرقة جاهاركا الأسكا.

كما سرد **باسطا** لحياته الحزينة على أنّه، قبل وفاة أبيه منحه علبة من الذهب والفضّة كما طلب أن يحتفظ بالمخطوطة وبالزّغم أنّ **باسطا** يملك أوراقاً ثبوتية، تنص في حق ملكيتهم للبيت في عهد **حميد كروغلي**، إلّا أنّ دار البلدية لم تعترف بذلك فبقي في دار الخدم في الحقبة الاستعمارية، أما **سليم** يصر على ملكيتهم في البيت لأنّ المخطوطة التي تركها جده **غاليليو** تظهر ذلك، كما أن **يوسف النمس** كتب عن تكالب الضباع على البيت فنشر ذلك في مقالات تفضح جرائمهم، وعلى إثري ذلك اتهم **النمس** بأنه قتل الكاهنة لأنها كانت حاملاً منه، ولما رفض الزواج بها انتحرت وعندما كتب أيضاً **النمس** عن قضايا التهريب والمخدرات، صرخ عليه مدير الديوان العقاري، بسبب كتابته عن تلك المواضيع لأن

جريدتهم ممولة ومدعمة من طرف هؤلاء الأشرار، وإثر ذلك أطلق النار على النمى فكد أن يموت.

في أوراق المخطوطة هناك حديث عن قساوة الانكشارية، وتعرض الرجل الأحمر إثر هروبه من القصر لأشد عقوبة من طرف الأغا، ورغبة أخيه رودريغو بشن حملة على الأغا لإطلاق الرهائن، وحديث كذلك سيرفانتس (الرجل الأحمر)، عن حادثة فقدان ذراعه إثر المعركة التي شنها القائد دون خوان النمساوي ضد الأتراك علي باشا، إضافة إلى ذلك قطع دالي مامي أذن هؤلاء الرهائن الذين يحاولون الهرب.

كما كان هروب ميغيل لمرة الثانية من القصر، جعل الأغا يسجنه لمدة خمسة أشهر وجلده بألفي جلدة.

كما حدثت عدة ترميمات للبيت في عهد جونار، فأضاف المهندس ليون ليسكا أجنحة للبيت فحوّل البيت بعد الاستقلال إلى دار للموسيقى، وأيضاً أصبح مكان للعب الكارطة ففي عهد الاستعمار شمع البيت باعتباره مكان للدعارة، وذات يوم وقعت حادثة في البيت إثر مقتل أحد راقصات مشهورات من طرف شاب سكير، عندما حدث بينهما سوء تفاهم فادى بالشباب إلى دخوله إلى السجن بتهمة الاعتداء والجريمة، فشمع البيت لمرة أخرى من طرف الدولة.

عندما جاء زمن باربي السمينة وزوجها الفينكا" حوّلوا البيت إلى الأسوأ، مثل إتلاف البيانو وتغيير صبغة البيت أدى إلى فقدان خصوصياته.

هنا حديث أيضاً للفينكا الذي ارتكب مجازر وخيمة، تحت تلذذه بذبح الأعناق أثناء الثورة، وطبق ذلك على كل من تعامل مع فرنسا، وفي الأخير قتل الفينكا من طرف شركائه الذين أقحموه في تجارة المخدرات والأسلحة، والأخطر من ذلك موت تلك الشابة التي اصطحبها معه إلى البيت في ذلك المساء.

شراء مارينا كتابا من ميغيل سيرفانتس، يحكي عن تلك المغامرات، التي جرت بين والدها غاليليو وصديقه ميغيل في قصر الأغا، وزواجها من صانع الرخام نديم الذي أضاف تعديلات للبيت، وكذلك قصة اغتصاب مارينا من طرف جيوش دالي مامي، فغادرت البيت في ظروف غامضة، والورقة اثنتي عشرة تتحدث عن تأسف سيلينا، لما سلب الأتراك البيت لجدّه غاليليو، وفيها حديث أيضا عن اسم خداج، الذي يدل على الدلع وزواج ابنة باش طرزي التي تسمى خداج وفي ليلة الدخلة وجدها زوجها غير عذراء فقتلها أهلها، كما تلقى كل من ميمون البنسي وغاليليو خدعة من طرف يهودي، الذي جعلهم يبيعان الذهب بأثمان بخسة بحجة أنّ فرنسا قادمة.

إن إنقاذ ماسيكا المخطوطة من النار التي اشتعلت في البيت، هذا يضاهي إنقاذ أنجيلو ألونصو غاليليو من عذاب محاكم التفتيش المقدس، كما أنّ اختفاء سي الطيب يشبه اختفاء مارينا في ظروف غامضة ومجهولة.

إلحاح باسطا مع حفيده سليم للجنة الوطنية لحفظ الآثار، أنّ البيت ملك أجدادهم بالإضافة إلى الكذبة المصطنعة من طرف اللجنة، أن سبب حرق البيت ليس حارقا بل بسبب صعقة كهربائية، وبعد أيام شرعوا في تهديم البيت قصد تحويله إلى برج عظيم فحضر ذلك كل من الحاج إبراهيم ورئيس البلدية والوالي تحت تصفيقاتهم.

بعد بضعة أيام سافر كل من سليم وسارة تاركين المخطوطة ترمم من الحروق، أما باسطا فلقد أعجب بـ ماسيكا لأنها تشبه لالة سلطنة.

إذن هذا الكتاب يسرد لنا قصة البيت الأندلسي الذي عاش فيه العشاق والقتلة، والخونة وهذا البيت بناه غاليليو في القرن 16 لحبيبه سلطنة، والباقي من السلالة المنقرضة هو باسطا الذي رفض فكرة تهديم البيت، ونذكر أن هذا البيت تحول في عهد الاستعمار إلى دار بلدية، ثم ماخوثر ثم إلى مكان لتهريب الأسلحة والمخدرات، وهذا نموذج لما يحدث في الوطن العربي من حروب.

ب-عالم رواية فتاوى زمن الموت:

تبدأ قصة هذه الرواية بالشجار العنيف، الذي جرى بين عمار بائع الخردة وحسين الميكانيكي، حتى جاء أحد أولاد عمار يبحث عن حسين الميكانيكي، وكان يسب ويشتم، في حين ظهر زربوط الذي يتميز بالطيش والغدر، عندما ذهب مع أصدقائه لسرقة الصدقات التي يجمعها بور أسين من الناس، فاجتاحهم القمل ووضع مبيد لثياب أصدقائه فنزعوها وفي اليوم التالي عرضها زربوط للبيع كما ألقى أيضا بجرذ في الزيت، وراح يشيع بأن صاحب المحل يقلّي الفئران، وفي المدرسة كان زربوط يقوم بأعمال شعوزة لكي تتغيب معلمته مادموزيل بليكان عن العمل، حتى في يوم من الأيام ضربه المدير فبال في سرواله وبعد الاستقلال كان معلمه المدعو ابن حمو وضعه في الخزانة بسبب طيشه، بالإضافة إلى أنّ زربوط أول مرة مارس الجنس كان مع بقرة عجفاء، وذلك في الأخير بعث فيه الرضا والارتياح.

وضع عمار أولاده تحت وصاية قدور، فذات يوم سب ايسو ولد عمار عنتر بالأعرج فضربه عنتر ولما سمع قدور لم يكن راضيا بذلك، فجرى نزال عنيف بين عنتر وقدور فسالت الدماء والعرق. سنة بعد ذلك تغير مظهر قدور، أصبح يرتدي جبة بيضاء وذو لحية طويلة، وطلب من إخوته بارتداء الحجاب وكان هو السبب في عدم زواج أخواته السبعة فأوقفهن عن الدراسة جميعا، وعند اختفاء قدور عن الحي، تلقى أبوه الإمام باستدعاء من طرف مصالح الأمن، لأن ذلك مثير لشبهات، ولكن ظهر مرة أخرى في تشييع جنازة أقامها الشيخ عبود.

ظهر في الحي شاب أنيق وكان يجلس قبالة نافذة مريم، ولكثرة تردده على المكان لقّبه موج وأصدقائه بمجنون مريم"، ومريم شابة جميلة تدرس في الجامعة، وكانت ترفض كل من تقدم لخطبتها إلا في يوم من الأيام، طلب هؤلاء الشبان بأن يغادر ذلك الشاب، تحت كذبة بأن مريم مخطوبة من طرف عقيد في الجيش، فأصيب مجنون مريم بخيبة أمل ولم

يعد يظهر في الحي. ولعل عزوف مريم عن الزواج يعود إلى أنها كانت تحب زكريا، الذي أغرته عجربة فحملت منه، ولما رفض الزواج بها قتلوه.

من ذلك اليوم أصبح شباب الحي يصومون ويصلون، ويرتدون جبات بيضاء، ويتركون لحاهم تنمو ويتجنبون النظر إلى النساء. وكان زربوط يدع موح إلى الصلاة، وأن يسير على خطى أخيه موسى المتدين، كما طلب زربوط من عنتر أن يكسر آلهة اللعينة التي تردد ترانيم إبليس، ولذلك طلب زربوط من مسعود، أن يقنع صديقه عنتر أن يقتلع عن تلك التصرفات من غناء وعزف. وذات يوم زار موح ذلك الماخور الذي اعتاد مسعود على الذهاب إليه، وكان مبني موحش يقع في مكان معزول، فرأى فيه موح أشياء غريبة ومخيفة رجالا يشربون البيرة ويسخرون عليه، وعاهرات يعرضن أجسامهن عراة، وكانوا يتنافسون على من يضاجع أكبر عدد ممكن من المومسات، وفي الأخير غادر موح (السارد) المكان من طرف تلك العجوز الذي استقبله عند الباب، وهي من أصل إسباني. إن عدم إيمان مسعود بوجود الله جعله ذلك يقرأ العديد من الكتب في الدين وقصص الأنبياء وكتب الفلسفة. بينما كان موح ومسعود وعنتر يسيرون على طريق الجبانة، التقوا بالملاك مبروك الذي طلب من مسعود أثناء جدال عنيف بينهما بإجراء عراك صغير، ولما رفض ذلك مسعود قال له مبروك: أنتم الشعراء رؤوسكم كرؤوس بغال، وعندما أقدم مسعود بمغادرة المكان مع أصدقائه سد مبروك لهم الطريق، فبدأ النزال بينه وبين مسعود، ولكن استسلم مبروك في الأخير تحت تلك الضربات العنيفة والموجهة من طرف مسعود وعنتر، وكانت تلك الهزائم التي يتلقاها مبروك تعود إلى نشأته، في تلك الأكواخ القديمة والمهلهلة، وهذا بعثت فيه الشعور بالنقص والعداوة مع الناس. ذات مرة تلقى السارد أو موح ضربا مبرحا من طرف طفل كان يبيع الحمص المغلي، ويقول موح أصر بأن أشتري منه الحمص، فلما رفضت نادى لأصدقائه فأشبعوني ضربا كما مزقوا كراريسي.

اختفى مبروك من الحي وهذا سبب لأمه معاناة، فراحت تتسول لتفادي الجوع، ولكن بسبب تلك المشاكل توفيت، خالتي فاطمة فتحوّلت إلى جثة هامدة.

كان موسى شديد التدين، ويكتب قصائد عن الفناء والهوى والمحسوب، حتى ظنّ أخوه موح أنه لديه عشيقة، وبعد ذلك اكتشف موح أنّ أخاه كان مولع بحب إلهي، ولهذا السبب طلب موح من مسعود أن يجري جدال مع موسى، لعله يقنعه بوجود الله، ولكن موسى فشل في ذلك مع أنه وضع عنوان لكتاب اسمه المنقذ من النار، وبالتالي انتهى ذلك بتفكير مسعود من طرف موسى، فصار مسعود منبوذاً من طرف سكان الحي.

في حين أنّ موسى قام بدعوة دينية يأمر فيها الشباب إلى إقامة الصلاة والصوم، وفي ذلك الوقت نادراً ما تجد شاباً بدون جبة ولحية.

كان عنتر الصديق الحميم لمسعود، ولما اشتكى زربوط عن تلك الصداقة لموسى ذهب إلى عنتر فصفعه، وطلب منه أن يبتعد عنه، لأنّه لا يؤمن بوجود الله، وهذا ما أدى إلى اختفاء مسعود من الحي خوفاً من أن يقع له مكروه.

في تلك الفترة ظهر في الحي شاب طيب المدعو ياسين الحزين، وكان يسكن مع أبيه وأخته خوخة وأخيه إبراهيم الذي اعتاد على السكر، وكان دائم الشجار مع أبيه حتى في يوم من الأيام لم يفتحوا له الباب، حتى لقينته عائلته في الصباح ميتاً بطعنة خنجر، ومقتله أثار شكوك الجيران، بأنّ أخوه ياسين هو من تجرأ على قتله فشيّع مثواه ثلاثة رجال، منهم ابن عمار بائع الخردة وحسين الميكانيكي وبوراسين، وأقسموا أن ينتقموا لمقتل إبراهيم، بضعة أيام فقط توفي والد ياسين الحزين فبقي مع أخته يعيشان في نفس البيت، وعندما اكتشف ياسين أنّ خوخة عاهرة، هربت مع عشيقها جورج بيلتان الذي كانت تعمل معه في نفس الشركة، فبحث عنها ياسين في فرنسا، وفي الخليج وفي كل الفنادق لكي ينتقم منها، ولكن بدون جدوى، وفي الأخير مات في أحد الفنادق الحقيبة إثري إقامته مع موسى، بسبب تعاطيه للحشيش والمخدرات والأقراص المنومة.

إنّ عودة **خوخة** بعد اختفائها أثار سخط وغضب سكان الحي، على أنّها باعت شرفها وألحقت بهم العار، فأصبحت منبوذة من الكل، حتى **موسى** طلب من أخيه **موح** أن لا يصاحبها لأنّها زانية، وأنها تجاوزت حدود الله، ولكن **موح** كان رؤوفاً مع **خوخة**، فأخبرها عن تفاصيل موت أخيها **ياسين**، حزنت كثيراً إثر ذلك، فسلمت له قبل أن تغادر دفتر كتبت فيه عن طفولتها، وعن قصتها المجنونة مع عشيقها، التي قضت على شرفها ودينها وبالتالي انتهت بنهاية مأساوية، وهذا بمثابة عري وبوح ل**خوخة**.

عندما عاد **موح** إلى الحي بعدما ذهب لبحث عن **خوخة**، وجد **عمار** بائع الخردة متوفى إثر إصابته بالسرطان، وأبناءؤه صاروا إرهابيون من أتباع **موسى**، منهم **ايسو** و**جحا** الذي يمارس القتل، أما **مسعود** ذبح في بيته من طرف **عنتر**، لأنه صار من أتباع **موسى**، في الأخير بالإضافة إلى أنّ **الشيخ عبود** قتل برصاصات من طرف **جحا** وجماعته وأسوأ ما حدث انفجار قنبلة أمام المدرسة، التي أدت إلى تراكم الجثث والضحايا، وعلى إثر ذلك مات **بوراسين**، وأمام هذا المشهد المملوء بالدم، غادر **موح** المكان خائفاً، وبالتالي نصحه الملازم **بدر الدين** بأن يكون حذراً، لأن أخاه **موسى** أفتى بقتله، بعد بضعة أيام قرّر **موح** ترك المكان فاتجه إلى تكامرا، تقدم نحوه ثلاثة أفراد أطلقوا عليه الرصاص فوجد نفسه في المستشفى، ملفوفاً بضمادات وعندما حاول إثر خروجه من المستشفى، بإخبار الأمن عن الذين حاولوا قتله وهم: **صالح صويلح** والثاني **جحا** والثالث **زربوط**، أصيب بخيبة أمل لما علم بموت الملازم **بدر الدين** وقت دخوله إلى المستشفى.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر

1. الأعرج واسيني، البيت الأندلسي، رواية الطبعة الأولى، دار الجمل، بيروت، ط1، 2010.
2. سعدي ابراهيم، فتاوى زمن الموت، منشورات التبیین الجاحظية، الجزائر، ط1، 1999.

ثانياً- المراجع

1-الكتب

1. أبو عوف عبد الرحمن، القمع في الخطاب الروائي العربي، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 1999.
2. جابر عوض سيد وأبو الحسن عبد الموجود، الانحراف والجريمة في عالم متغير المكتبة الجامعية الحدي سلسلة كتب مجالات الخدمة الاجتماعية الكتاب الثاني دط 2004.
3. جلوكسمان اندريه، عالم التلفزيون بين الجمال والعنف، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، بيروت، 2000.
4. حبيلة الشريف، الرواية والعنف، دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، أريد-الأردن، ط1، 2010.
5. الخولي محمود سعيد، العنف في مواقف الحياة اليومية نطاقات وتفاعلات، دار مكتبة الإسرائ، ط1، 2006.
6. الزاهي نور الدين، المقدس والمجتمع إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2011.
7. قارة ببيان منية، رواية القمع في تونس، دار نقوش عربية، تونس، ط1، 2013.
8. لوسركل بان جاك، **عنف اللغة**، بيروت، ط2، 2006.

9. مجدولين شرف الدين، الفتنة والآخر، انساق الغيرية في السرد العربي، بيروت- لبنان، ط1، 2012.

10. مرسل محمد مازن، حفريات في الجسد المقموع، مقارنة سوسولوجية ثقافية منشورات الضفاف، ط1، 2015.

الرسائل والمذكرات الجامعية

11. داودي سامية، صوت المرأة في روايات إبراهيم سعدي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، 2011-2012.

12. حماشي حسين، السلوك العدواني وعلاقته بالتوافق الاجتماعي لدى طلبه الجامعة دراسة ميدانية مذكرة الماجستير، تخصص علم النفس الاجتماعي كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم علم النفس، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012-2013.

المواقع الإلكترونية

13. حسن أحمد، ذاكرة الماء (محنة الجنون العاري) لواسيني الأعرج، في 23 أبريل 2016، على الساعة 17:00 على الموقع: www.elktob.com

14. معاجم اللغة العربية معنى وشرح كلمة شتم: قاموس عربي عربي، 5 ماي 2016، على الساعة 10:00 على الموقع: www.maajim.com/dictionary.

15. مفهوم السخرية في معجم لسان العرب، في 01 ماي 2016 على الساعة 17:00، على الموقع: www.wikipedia.org/wiki/ar

16. معنى السخرية في معجم المعاني الجامع معجم عربي-عربي، في 25 جوان 2016 على الساعة 16:00، على موقع الإلكتروني: www.almaany.com

فهرست الموضوعات

فهرست الموضوعات

مقدمة 4

مدخل

العنف من المفهوم إلى الممارسة

1- مفهوم العنف 8

2- أنواع العنف 8

3- مظاهر ممارسة العنف في الرواية العربية/الجزائرية 9

الفصل الأول

من عنف الخطاب إلى خطاب العنف/ الأشكال والتجليات في الروايتين

المبحث الأول: العنف المادي / الجسدي 15

1- مظاهر العنف المادي/الجسدي، في نص البيت الأندلسي وفتاوى زمن الموت ... 15

أ- الذبح/نهاية الحياة وتعد على حرمة الجسد 15

ب- التعذيب/تجسيد لقمع الجسد 17

ج- ظاهرة القتل 22

د- سلوك الاغتصاب/ التعدي الجنسي على الجسد الأنثوي والحيواني 25

هـ- العنف المادي/ الكسر والهدم 26

المبحث الثاني: العنف المعنوي/ الفكري/ اللفظي في الروايتين 28

1- ظاهرة الشتم والسب 28

أ- الشتم على المستوى الفردي 32

- ب-الشتن على المستوى الجماعي..... 33
- 2-ظاهرة السخرية..... 34

الفصل الثاني

مستويات خطاب العنف وأبعاده في الروايتين

- المبحث الأول: المستوى الرسمي 39
- 1-العنف السياسي/ السلطوي..... 39
- 2-العنف الممارس من طرف محاكم التفتيش الإسبانية 41
- 3- سياسة العنف عند الأتراك أو الرياس 43
- 4-عنف الممارسة الإدارية تجاه وضعية البيت الأندلسي..... 44
- المبحث الثاني: المستوى الخاص/ الفردي في البيت الأندلسي وفتاوي زمن الموت..... 49
- 1-العنف على مستوى الخاص/ الفردي في البيت الأندلسي 50
- أ-العنف المؤسساتي 50
- ب-العنف الشخصي 53
- 2-العنف على مستوى الخاص/ الفردي في فتاوى زمن الموت 57
- العنف الشخصي أو الخاص 57
- 3-المستوى الديني/ الأصولي في نصي البيت الأندلسي وفتاوي زمن الموت..... 60
- أ-موقف الكنيسة من الموريسكين في البيت الأندلسي 60
- ب- تعامل الأصوليين مع المواطن في فتاوى زمن الموت 64
- 4-المستوى الاجتماعي في نصي البيت الأندلسي وفتاوي زمن الموت..... 70
- أ-مظاهر العنف الاجتماعي في البيت الأندلسي 70
- العنف ضد المرأة 71

75	- العنف الأسري
78	ب-مظاهر العنف الاجتماعي في فتاوى زمن الموت
78	- العنف المدرسي
79	- العنف الأسري
5	من خطاب العنف إلى خطاب اللاعنف في نصي البيت الأندلسي وفتاوى زمن
81	الموت
82	أ-مظاهر خطاب الاستعمار المقلوب في البيت الأندلسي:
85	ب-مظاهر خطاب الاستعمار المقلوب في فتاوى زمن الموت:
87	خاتمة
91	ملحق خاص:
93	1-ترجمة موجزة عن الروائيين
92	أ-ترجمة موجزة عن الروائي واسيني الأعرج:
93	ب-ترجمة موجزة عن الروائي إبراهيم سعدي:
95	2-عالم الروائيتين
94	أ-عالم رواية البيت الأندلسي:
98	ب-عالم رواية فتاوى زمن الموت:
102	قائمة المصادر والمراجع
105	فهرست الموضوعات